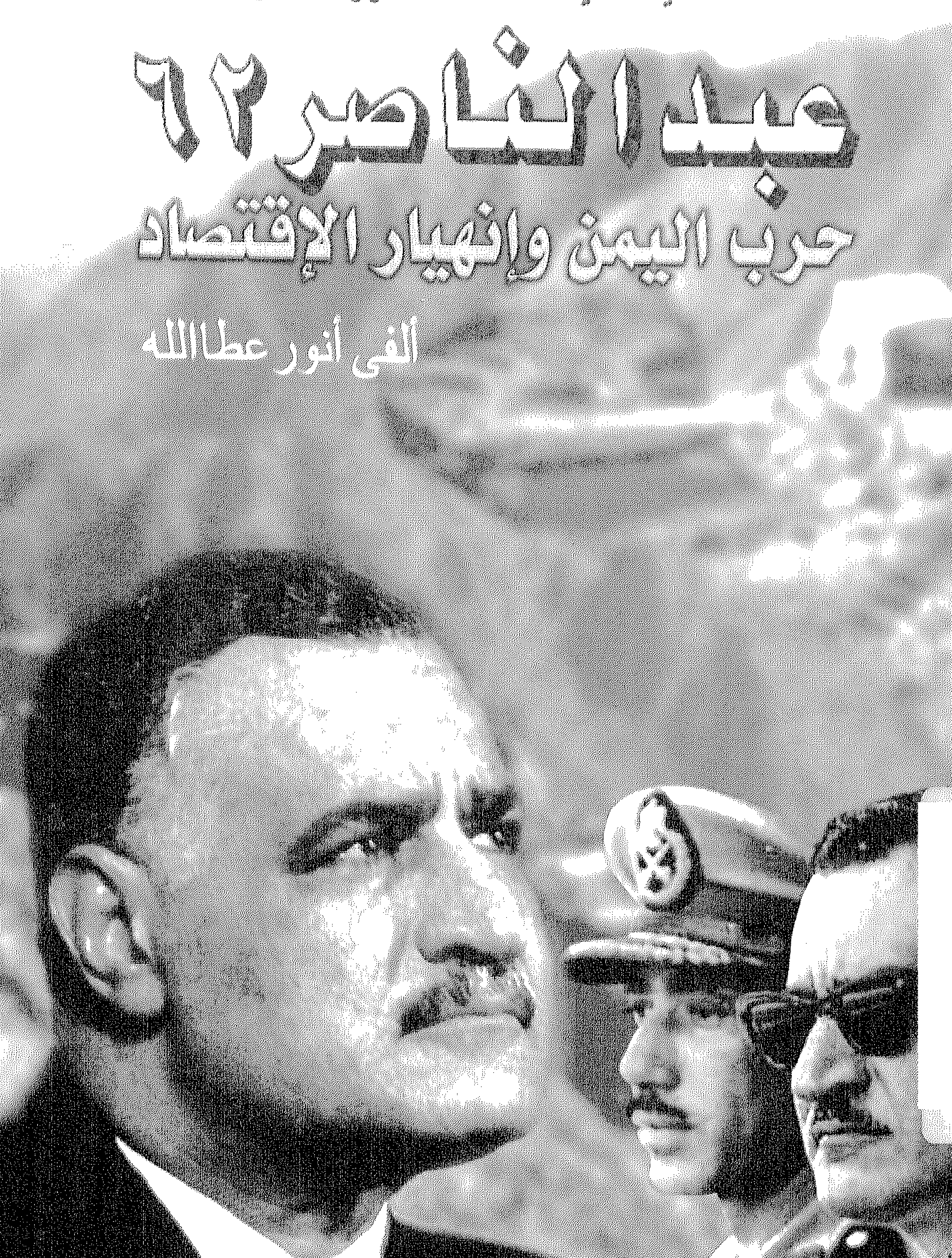
حكايات لذيذة.. كانت محظورة للنشر

عبد الناصر ٦٢

حرب اليمن وانهيار الإقتصاد

ألفى أنور عطا الله



عبد النـــاصر ٦٢

حرب اليمن وإنـهيار الإقتصاد

عبد الناصر ١٩٦٢

حرب اليمن وإنهيار الإقتصاد

تصميم الغلاف: عـادل حسـنين

الناشـر : دار أمـــادو للنشـــر
١١ ش سـيباويه المصرى مدينة نصر
ت : ٤٠٢١٠٣٠ فاكس : ٢٦٠٠٥٧٧

حكايات لذيذة .. .. كانت محظورة النشـــر

عبد الناصـــر ١٩٦٢

حرب اليمن وإنهيار الإقتصـــاد

ألفى أنور عطا الله

دار أمـــــادو للنشـــر

الصراحة .. والصدق .. والشفافية .. في دراسة التاريخ تحمى طريق المســتقبل من الأخطاء

*****

الكبت الفكرى والتعتييم الإعلامى وأحادية القرار يــؤدى حتمــاً إلي تدهــور إقتصــــاد الأمــم

ألفى أنور عطا الله

هـذا الكتـــاب

لأول مـــرة تفـــتح ملفات كانت مغلقه عن فترة هامة في تاريخ مصر الحديث ، ولا ندرى ما هي الأسباب لهذا التعتيم الإعلامي عن كل ما يخص الحرب المصرية في اليمن ؟ وهل كان التعتيم لأســباب سياســية أو أمنية قومية ؟ .. أم هي معنوية خجولة تعتبر هذه الحرب عورة في تاريخ مصر

* * *

ولكــن مهمــا كـــانت الأسباب فقافلة التاريخ المصري . تسير للأمـــام، والتقدم والرفعة .. وإلي الصدارة بين شعوب العالم أجمع

إنها مصر .. إنها مصر .. أم الدنيا .. وأسطور التاريخ القديم والحديث .. والمستقبل بإذن الله .

المؤلف

* * *

الفصل الأول

أحوال مصر قبل حرب اليمن ١٩٦٢

الحمد لله الخير كثير

الجنيه المصري عملة محترمة جداً ، فهو يتكون من مائة قرش، والقرش يتكون من عشرة مليمات ، والمليم له نصفين ، والمليم عبارة عن قرص معدنى لونه أحمر جميل أو أصفر بلون الذهب، وله قيمة شرائية محترمة ، وكانت أسعار الحاجيات تقيم بالمليم، فمثلاً سعر البيضة أربعة مليمات وتذكرة الموصلات ستة مليمات سواء للترام أو الأتوبيس ، علماً بأن المواصلات العامة كانت متوفرة ومريحة ، أما سعر رغيف الخبز النظيف اللذيذ فكان خمسة مليمات ، أما الطعام بأنواعه وأشكاله فكان متوافراً ورخيصاً وتحت الطلب ، ماعدا الطماطم فقد كان سعرها غالياً في بعض الأحيان يصل إلي أربعة مليمات للكيلو.

***

الحياة سهلة والشوارع نظيفة بلا زحام والناس تعمل في سعادة ورخاء، والزحام الوحيد كان في موقع واحد فقط وهو البوستة

" مكـــاتب الـــبريد " فالـــناس تقــف في طوابير أمامها ليضعوا مدخـــراتهم فـــي دفاتر التوفير فكل موظف او تاجر أو مستثمر صـــغير يستقطع جزءاً من دخله الذي يفيض، ويتوجه به شهرياً إلي البوستة ٪

* * *

وكـــانت هـــناك أساليب شرائية إختفت الآن فمثلاً إذا إشتريت فاكهـــة فأنت تشتريها بالقفص الكامل ، أما البطيخ فتشتريه ليس بالكيـــلو إنما بالحمل والحمل معناه حمولة الجمل أو الحمار أو العربة الكارو أى عشرة بطيخات٪

وكان الجنية المصري له تغطية من الذهب ، فكانت قيمته ثابتة وقويـــة ، فالجنية الإسترلينى الإنجليزى يساوى سبعة وتسعون قرشـــاً ، أمـــا الـــدولار الأمريكى فقيمته ثلاثون قرشاً والمارك الألمانى يستبدل بعشرة قروش ، وكان المواطن المصري يفكر جديـــاً فـــي شراء سيارة ، إذا وصلت مدخراته مائه جنيه ولكنه يـــتراجع لعـــدم الإحتياج لها لسهولة المواصلات ، ولأن عداد التاكســـى إلذي كان متوافراً يبدأ بخمسة قروش ، أما إذا وصلت المدخـــرات إلي ألف جنيهاً .. فهو مواطن غنى يشترى أرضاً

ويبـــنى مـــنزلاً به العديد من الشقق يؤجرها ليحصل منها علي مـــزيد مـــن الدخـــل ، ويتفـــنن في أساليب جذب المستأجرين وترغيـــبهم والأسلوب الأمثل لوضع يافطه "للإيجار" علي منزله بطـــريقة واضحة وجذابة وقد يتنازل عن أجر شهرين في السنة للمستأجر حافزاً له للإستمرار في إيجار شقته ، علاوة علي قيام صاحب العمارة المذكور بتحسين وتجميل الزراعة والإشجار في الحديقة المحيطة بالمنزل مما يزيد من جمال المدن والطرق .

***

وكـــان التعبير الدارج علي ألسنة جميع المصريين يقولونه دائماً " الحمد لله الخير كتير الخير كتير " مصر أم الدنيا ".

***

١٠ سنوات بعد ثورة الجيش ١٩٥٢

كـــانت مصـــر فـــي ذلك الوقت تحكمها حكومة عسكرية بقيادة رئيـــس الجمهوريـــة الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان قائداً لثورة الجيش في يوليو سنة ١٩٥٢، تلك الثورة التي قضت علي الـــنظام المـــلكى واقـــامت الحكم الجمهوري في مصر .. وبعد الـــثورة بـــدأت الخطـــوات الجدية التقدمية للإصلاح في جميع المســـارات ، فقـــد أنهت سيطرة وصراعات الأحزاب السياسية الفاســـدة .. وأنهـــت الأقطـــاع المســـتبد ، وحطمت السيطرة الإقتصادية سواء الزراعية أو التجارية أو الصناعية ــ وصدرت قوانيـــن الإصلاح الزراعى وتحدديد الملكية الزراعية بخمسين فـــدان ، وأممـــت الدولة المتاجر الضخمة والمصانع .. لتضمن سيطرة الشعب علي جميع وسائل الإنتاج ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر ومعه مجلس قيادة الثورة الذي يشكل الرجل الثانى فيـــه المشير عبد الحكيم عامر ، لهم سلطة قوية مسيطرة تحمى الإنضباط ، وتحمى مكاسب الشعب ، التى تحققت ، وقد صاحب

قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، الشعار العظيم والدعوة لقيام الوحـــدة العــربية الشاملة من المحيط إلي الخليج ، والتي كانت تؤيدهـــا جمـــوع الشعب المصري ويتحمس لها جميع الشعوب العــربية عـــلي إخـــتلاف توجهاتها ومواقعها ، وكانت الدعوة لـــلقومية العـــربية قويـــة جداً ولم تتأثر حتى بعد عملية الوحدة الكاملة مع سوريا سنة ١٩٥٨ ثم الإنفصال سنة ١٩٦١، وكانت الدعـــوة إلي القومية العربية تنتشر إنتشار النار في الهشيم حتى فـــي الـــدول التي تحكمها أنظمة ملكية أو رئاسية نتيجة ثورات عســكرية ، ولـــلحفاظ عـــلي مكاسب ثورة سنة ١٩٥٢ أنشئت محاكم عسكرية لمحاكمة أعداء الثورة والإقطاعيين أو الفاسدين من الحكم الملكى السابق ، وكانت تصدر أحكاماً قاسية يهلل لها جميع أفراد الشعب وأجهزة الإعلام .

***

إستفتاء رئاسة الجمهورية ٩٩,٩ ٪

تخــرجت مــن كلية الهندسة ١٩٦٠ مهندساً معمارياً والتحقت بالكلية الحربية وتخرجت منها ضابطاً مهندساً برتبة الملازم أول لأعمــل بالقوات الجوية ، مسئولاً عن أعمال المبانى في مطار ألماظــة العسكرى وفي النصف الأول من ١٩٦٢ ، تقرر عمل إســتفتاء شــعبى لكــل شعب مصر لإختيار رئيس الجمهورية بأسلوب ديمقراطى معلن أمام جميع شعوب العالم ، وكان جمال عــبد الناصر هو المرشح الوحيد الذي يستطيع أى مواطن بكل حرية أن يبدى رأيه بالموافقة أو الرفض علي إختياره في بطاقة الإستفتاء .

***

وكــانت لافــتات التأييد وصور الزعيم عبد الناصر تنتشر في جميــع المــدن وعــلي جميــع الحوائط ، وحدث للمرة الأولي والأخيــرة أن تقــرر إشــتراك القوات المسلحة بالرأى في هذا الإستفتاء ، لأهميته التاريخية في تلك المرحلة من تاريخ مصر .

وتحـــدد موعـــد إشـــتراك ضـــباط القوات الجوية في المنطقة المركزية، علي أن يكون الإجتماع في قاعة السينما الضخمة في مطار ألماظة الحربى ، وكنت أحد المتواجدين في هذا الإجتماع في صفوف خلفية لضآلة رتبتى. وفي الحقيقة كان الإستفتاء في منـــتهى الديموقـــراطية والعلـــنية ، فكان يجلس علي المنضدة الرئيســـية المشير عبد الحكيم عامر بنفسه وحوله قيادات القوات الجوية ، الذين طلبوا من جميع الضباط أن يكونوا علي مستوى المســـئولية وأن لا يكون هناك أى نوع من الخوف أو الضغط ، وكـــل واحد حر تماماً في إبداء رأيه موافقة أو عدم موافقة علي إنـــتخاب الرئيس جمال عبد الناصر ، وكما قالوا لنا أنتم ضباط القـــوات المســـلحة الصفوة المتميزة من شباب مصر ، والذين يتصفون بالشجاعة وعدم الخوف والجرأة في إبداء الرأى، ثم بدأ الإستفتاء علانية بأن نادى قائد القوات الجوية ، قائلاً كل من لا يوافـــق عـــلي جمال عبد الناصر فليرفع يده بكل شجاعة وعدم خوف ، ثم علا صوته جداً أرجوكم كل من لا يوافق علي جمال عـــبد الناصـــر يرفع يده ، لا تخافوا أيها الشجعان ولم ترفع يد واحـــدة ، وكـــم كان حظى عاثراً فقد جاءت ذبابة ووقفت علي وجـــهى ولم أستطع أن أطردها خوفاً من تحريك يدى ، وبقيت

صــــابراً ومـــتحملاً " لـــرذاله "هذه الذبابة حتي قام قائد القوات الجويـــة بالسؤال الثانى الموافق علي جمال عبد الناصر فليرفع يده فارتفعت جميع الأيادى بقوه وحماس بين التهليل والهتاف ، وكانت فرصة ذهبية لى لطرد هذه الذبابة اللعينة .

***

وخرجـــنا جميعاً من الإجتماع في منتهى السعادة والتهليل وكلنا نقـــول في فم واحد " الديموقراطية حلوة ـ الديموقراطية لذيذة " وكانت نتيجة الإستفتاء علي مستوى مصر كلها ٩٩,٩٪ .

***

الموسيقى الأجنبية   إستعمارية شريرة

كـــان مسكنى في مصر الجديدة قريباً من مطار ألماظة الحربى الذي أعمل ضابطاً مهندساً مسئولاً عن إنشاءاته ، وكنت أفضل الذهاب إلي عملى بسيارتى الخاصة وكانت ماركة فورد أمريكية الصـــنع ضـــخمة وطويلة ، وذات لونين لامعين ، أستمتع أثناء قيـــادتى لسيارتى إلي المطار بالإستماع إلي الموسيقى الأجنبية التى تبثتها الإذاعة المصرية – وأكرر الإذاعة المصرية ، وفي مساء أحد الأيام في الحادية عشر مساء ، أتى إلي منزلى جندى راكباً موتوسيكلاً يسلمنى خطاب إستدعاء في الثامنة من صباح اليـــوم الـــتالى لمقابـــلة السيد العميد مدير المخابرات العسكرية الجويـــة فـــي مكتـــبه لأمر هام جداً ، ثم تلا ذلك عدة مكالمات تليفونية لإعلامى بهذا الإستدعاء الخطير ، وأعترف هنا أننى لم أنم دقيقة واحدة من القلق الذي شعرت به ، وفي الموعد المحدد وهـــو الثامـــنة صـــباحا توجهـــت إلي مكتب مدير المخابرات

المذكور، فأجلسوني منفرداً في صالون إنتظار حتى الثامنة مساء نفس اليوم أى إثنى عشر ساعة كاملة ، ولما طلبت الخروج والعودة في الموعد المطلوب رفضوا ذلك .. فشعرت بالجوع والرغبة في كوب من الشاى أو القهوة .

***

وفي الثامنة مساءً أدخلوني إلي مكتب مدير المخابرات ، أديت التحية العسكرية ، ووقفت ثابتاً لا أتحرك ولكن عيناى تتحرك فلمحت دوسيهاً أمامه عليه إسمي ملازم أول مهندس ألفى أنور عطا الله وفتح الدوسيه ورأيته يقرأ تقريراً مكتوباً بخط اليد ومثبت بالتقرير صورة فوتوغرافية لي وأنا أقود سيارتى ، أخذ السيد العميد ينظر في وجهى دقيقة كاملة ، ثم قال لي لولا أنه علم أننى ضابط كويس ومهندس شاطر لكان هناك تصرف آخر ضدى .. نظراً لما إرتكبته من أخطاء خطيرة ، وأنا شخصياً لم أرد بكلمة واحدة إنما شعرت بالإطمئنان من أسلوبه ولهجته .. ثم إستطرد قائلاً يا حضرة الضابط ألم تسمع أن الوطن كله يتحول إلي عصر الإشتراكية .. ألم تسمع أن عصر الإقطاع قد إنتهى بقرارات ١٩٦١ .. إن الرأسماليين وكبار الأغنياء هم أعداء لهذا الشعب الكادح .. وأنت تركب سيارة مصنوعة من

بــلد الإستعمار أمريكا .. وماركتها فورد .. الشركة التى تساعد إســرائيل ، ثم أنك تستمتع بالإستماع إلي الموسيقى الأجنبية . وهى موسيقى إستعمارية شريرة .. هذه المرة أقدمها لك نصيحة أن لا تكرر ذلك ، ثم لماذا لا تكون سيارتك صناعة مصرية ؟. وســكت قــليلاً وأخــذ ورقة كتب عليها خطاباً لشركة النصر لصــناعة السيارات أن أشترى منها سيارة ماركة نصر ١١٠٠ فــوراً دون إنــتظار للدور أو الحجز الذي كان يستمر سنوات وترك لي الحرية أن أشتريها نقداً أو بالتقسيط ..

***

خــرجت من مكتبه ولسانى يلهج بكلمات محددة أكررها بسعادة بالغــة .. الإشــتراكية حلوة .. الإشتراكية لذيذة ، ملعونه هى الموسيقى الأجنبية .

***

الفصل الثانى

مصر و اليمن ١٩٦٢

ثورة عسكرية في اليمن

في الشهور الآخيرة من ١٩٦٢ حدث إنقلاب عسكرى في اليمن سمى ثورة تقدمية أعلنت الحكم الجمهورى بقيادة الضابط العقيد السلال ومعه ضباط وجنود من الجيش الملكى اليمنى ، وأطاحت هذه الثورة بحكم ملكها الذي كان في نفس الوقت الرئيس الدينى لـليمن وهـو الامـام البدر الذي هرب إلي السعودية ـ وكان أسـلوب الحكم للإمام البدر غريباً وفريداً في نوعه ، فهو ليس نظاماً ملكياً فقط ولكن رئاسياً دينياً .. إستطاع أن يسيطر علي جميـع قبائل اليمن المتناثرة والتي تنتشر عبر ربوعه في مدن صـغيرة أو قـرى أو تجمعـات قبليه في وسط وأعلي الجبال الشـاهقة التي تتكون منها معظم الدولة اليمنية التي كان التخلف الحضارى الفظيع هو الصورة السائدة فيها . والتاريخ يذكر أن اليمـن هى الدولة الوحيدة في العالم التي لم يدخلها الإستعمار ـ إمـا لصـعوبة تضاريسها الجغرافية ، أو لفقرها الشديد وعدم وجـود أيـة ، مـوارد أو مواد خام أو ثروات يطمع فيها أى مستعمر .

وكـــانت الطاعة الدينية العمياء للإمام البدر .. التي تعتمد علي غيـــبة الـــوعى عـــند كل اليمنيين علاوة علي إيمانهم جميعاً ، بقدراتـــه الخارقة التى هى فوق الطبيعة والتي يستمدها من الله سبحانه وتعالى ، فهو يظهر في الأعياد في شرفة قصرة يرتدى جلـــباباً يخرج منه نور براق يتصورونه معجزة خارقة فهم لم يسمعوا بأن هناك مواد فوسفورية إخترعها العلم .. وتحدث أمام شعبه من خلال تمثيلية يقوم أحدهم بإطلاق الرصاص عليه ولا يؤثر فيه .. ولا يسبب له أى جرح ، فالجهل يعم والجميع الذين لا يعرفون ولم يسمعوا عن القمصان المعدنية التى كان يرتديها تحت جلبابه .

***

وكـــان الإمام البدر من واقع سلطاته الدينية يعطى منحاً وهبات لأتـــباعه فكان يعطيهم عشرات الأفدنة والأراضى في الجنة في صـــكوك ورقية مكتوبة وموقعة بخاتمه ليحتفظوا بها كي تنفعهم بعد إستشهادهم .

***

ونجح الإنقلاب العسكرى بقيادة العقيد السلال في السيطرة علي العاصمة صنعاء وكذلك علي الميناء الرئيسى علي البحر الأحمر

وهـــي مدينة الحديدة ، واستولت قيادة الثورة علي قصر الإمام وحولــته إلـــي القصر الجمهورى ، يقيم فيه رئيس الجمهورية العقيــد الســـلال ويقود منه مقاليد الحكم هو وحكومته وقياداته العســكرية، وبدأت الثورة في بسط سيطرتها علي بلدان وقرى أخرى ولكن سرعان ما تغيرت موازين القوى ، فالإمام البدر الذي إستقر في الحدود الجنوبية للسعودية ، المتلاصقه مع حدود اليمن الشمالية بدأ يحرك أتباعه من رجال القبائل بعون كبير من الــنظام المــلكى السعودى ، وبدأت الأسلحة والبنادق تصل إلي القبائل الهمجية ، التي بدأت بهجمات بربرية فوضوية ضد قوات الجيــش الجمهـــورى راغبة في عودة إمامهم البدر .. والإيمان الديــني القــوي يسيطر علي مشاعرهم للتخلص من هذه الثورة العــلمانية العسكرية الكافرة .. ونتيجة لذلك أصبح موقف العقيد الســلال حــرجاً وخطيراً ، ولم يكن أمام الثورة الجمهورية إلا اللجوء إلي الزعامة المصرية للأمة العربية وإلي الزعيم الأول لحماية القومية العربية ، والمقاتل الأول لتحطيم الأنظمة المتخلفة الــرجعية في المنطقة العربية وخاصة الأنظمة الملكية ـ والتى كان من بينها النظام الرجعى السابق في اليمن وكان هذا الزعيم

العظيـــم المنجد هو الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر .

***

عبد الناصر وحماية الثورات التقدمية

كـــان الرئيس عبد الناصر يتمتع شعبية عارمة في جميع أنحاء الوطن العربي من المحيط إلي الخليج ، وفي نفس الوقت إمتدت شـــعبيته إلي جميع الدول التى تناضل من أجل الحرية والقضاء عـــلي الإســـتعمار فـــي جميع أنحاء العالم ، ولم تكن معاونته للشـــعوب المناضــــلة في جميع أرجاء المعمورة تقتصر علي الـــتأييد المعنوى الإعلامى فقط بل تشمل أيضاً الدعم العسكرى والمـــالى بســـخاء وبذخ شديدين لحماية ما يدعو إليه من مبادئ تقدمية سامية وفي نفس الوقت لأن مصر دولة غنية لديها فائض ضخم من المال والسلاح .

وكـــنا نقـــرأ فـــي الصــــحف أو نسمع في أجهزة الإعلام عن مســـاعدات عســـكرية ومالية لدول كنا نبحث عنها في خرائط أفـــريقيا أو أسيا أو أمريكا الجنوبية . وكانت هناك نكتة شهيرة عندما ظهر في دورالسينما فيلم " ثورة علي السفينة بونتى " أن

الــرئيس عبد الناصر أرسل المعونات العسكرية والمالية لتدعيم ثوار السفينة بونتى ".

***

وكان طبيعياً أن تهب القيادة السياسية والعسكرية المصرية بقيادة الــزعيم جمــال عبد الناصر وبمعاونة رجله الأول القائد العام لــلقوات المسلحة المشير عبد الحكيم عامر وأن يسارعوا لنجدة الــثورة الجمهورية التقدمية علي أرض اليمن لتدعيمها وتحطيم أعدائهــا مــن القوات الراغبين في عودة النظام المتخلف للحكم الملكى بقيادة الإمام .

***

طلائع الجيش المصري في اليمن

في إحتفال إعلامى وشعبى ضخم تحركت سفينة نقل حربية من ميـناء الأدبيـة جنوب السويس علي البحر الأحمر تحمل كتيبة مصـرية من المشاة المدعمة ببعض وحدات قليلة من المدفعية والعربات المدرعة نحو اليمن ، متجهة إلي ميناء الحديدة الميناء اليمـنى الوحيد علي الشاطئ الجنوبى الشرقى للبحر الأحمر . ومـن هـذا الميناء تتجه هذه القوة العسكرية إلي مدينة صنعاء العاصمة ، وكانت جميع الصحف والإذاعات المصرية تهلل لهذا الـتحرك العسـكرى ، وأناشيد وأغانى النصر تذاع ليل نهار ، وتحولـت المشاعر الوطنية داخل مصر والمشاعر الوطنية في كـل الـدول العربية التي تحلم بالوحدة والرفعة إلي لهيب قوى ونـور سـاطع تخـتفى خوفاً منه مشاعر الرجعية والتخلف ، والمسـاندة الخائنة للحكومات العربية الملكية أو التي تسير في ركـب الإسـتعمار الغربى الشرير. وكانت كل أساليب الدعاية تؤكـد أن هـذه الكتيبة المصرية المدعمة والتي تحوى حوالى الألـف مـن المقاتلين المصريين البواسل كافية وتزيد لمعاونة

الـــثورة الجمهوريـــة عـــلي أرض اليمن ، وأنها ستقضى تماماً وبســـرعة علي جميع أعداء الثورة من القوات الملكية وأذنابها الـــتابعين للإمـــام البدر الحاكم والملك المعزول .. كما ستقضى أيضـــاً وبمنـــتهى القســـوة عـــلي القوات الشريرة والمساعدات العسكرية و المادية التي تقدم له من الحدود الشمالية لليمن التي هى الحدود الجنوبية للمملكة السعودية .

***

وصـــلت الكتيـــبة المذكـــورة إلـــي أرض اليمن ، وبالرغم من الشـــجاعة الفائقة لجنودها وضباطها .. إلا أنها تعرضت للحرج الشديد ، فهي تقاتل بشجاعة وبسالة فائقة علي أرض جبلية ، لا خـــرائط لها ولا تفاصيل جغرافية معروفة عنها منذ بدء تاريخ البشـــرية ، وكـــان طـــبيعياً أن تقوم القيادة العسكرية في مصر بإرســـال دعم عسكرى آخر لمساعدتها .. فأرسلوا كتيبة أخرى بمـــزيد من الدعم والمعدات والمدفعية .. وإزداد الموقف حرجاً وتورطاً ، فأرسلوا لواءً عسكرياً كاملاً .. ثم أرسلوا فرقة كاملة زادت إلـــي عـــدة فرق وكانت الحرب قاسية وغير متكافئة .. فالجيش المصري بقواته المنظمة يحارب ، قوات يمنية فوضوية تســـكن الجـــبال والمغارات وماهرة في حرب العصابات الغير

منظمة ، يخرجون من شقوق الجبال كالنمل يحمل كل مقاتل يمنى بندقية متخلفة من زمن سابق ماركة أنفيلد ، إنجليزية الصنع ، ويضع كل منهم في جيب حزام يربطه علي وسطه ، كمية من الرصاص .. وللأسف كان هذا الرصاص ماركة دمدم، وهو رصاص ممنوع الإستعمال شرعياً لأنه يحتوى علي مخزون من السموم تنفجر وتنتشر في الجسم الذي يصيبه ، وكان إستعماله محرماً دولياً ، منذ زمن بعيد ـ وكان المقاتل اليمنى المعادى لا يحتاج إلي تموين أو طعام ـ أو إمدادات منظمة ـ يستعملها كوجبات للتغذية ، فهو يكتفى بكمية من حبوب الشعير أو القمح في جيب حزامه ، يتلقفها بفمه ، ونظراً للطبيعة الجبلية القاسية لأرض اليمن ، فكان المواطن اليمنى يمتاز بإبصار حاد جداً ومقدرة علي التصويب بالبندقية البدائية التي كان أحياناً يستعمل نظارة تلسكوبية مركبة عليها ، لذلك كانت إصابات الجنود والضباط المصريين الذين يستشهدون علي أرض اليمن كلها في الجبهة أو الرأس أو الصدر في جانبه الأيسر النافذ إلي القلب .

وبدأت طوابير عائدة من أرض اليمن إلي أرض مصر . تحمل المئات من جثث الشهداء البواسل الأبطال .. لدفنها في أرض

مولدهـــم ،ســـواء في القاهرة أو الإسكندرية أو جميع محافظات مصـــر .. وكانت ضاحية مصر الجديدة التى أسكنها لها نصيب الأســـد من الشهداء الضباط الذين كانت تنتشر فيها إقاماتهم مع أسرهم.

وكـــانت أســـر هـــؤلاء الشـــهداء مـــن الضباط والجنود تتلقى التعويضات المالية الكبيرة علاوة علي الإمتيازات المدنية لتحقيق مطـــالب أسرهم ، و كان هذا أقل ما يجب نحو هؤلاء الأبطال والشهداء .

***

الحرب البرية في اليمن " العملية ٩٠٠٠ "

تحولت المعونة العسكرية المصرية التى بدأت صغيرة متواضعة لحماية الثورة الجمهورية علي أرض اليمن إلي حرب شاملة .. كامـــلة الصفات العسكرية ، والدعم البرى بجميع أنواع الأسلحة .. ســواء المدفعيـــات الثقيـــلة والـــبعيدة المدى ، والصواريخ الأرضـــية، وكذلك المدرعات والدبابات بأنواعها وتشكيلاتها ، ولا ننســـى الدور البطولى لقوات الصاعقة المصرية .. وكانت هـــذه الحـــرب الشاملة شرسة جداً ، وللأسف ليست حاسمة فلا يوجـــد عـــدو واضح متمركز في أراضى محددة ، ولا مناطق جغرافية تحميها قوات واضحة يمكن حصارها أو القضاء عليها، ولكنها كانت قتالاً شرساً وعنيفاً ضد ألاف من المقاتلين يحاربون بأســـلوب فوضـــوى ، يجيدون أسلوب حرب العصابات يتنقلون ويقفزون من قمم الجبال ، ويجيدون المناورة في مغارات الجبال الـــتي يعـــرفونها جيداً ..، يظهرون فجأة ويختفون في دقائق .. يقفـــزون من محور إلي محور ومن طريق إلي طريق. وكأنهم أشباح .. أو شياطين

***

ولمـــا إتسع نطاق الحرب تشكلت في القاهرة قيادة خاصة لهذه الحرب وأطلقوا علي الأعمال العسكرية في اليمن إسماً كودياً هو " العمـــلية ٩٠٠٠ " وأنتظم طريق بحرى بين ميناء الأدبية في السويس بمصر وبين ميناء الحديدة في اليمن وكان يسمى القول الـــبحرى للعمـــلية ٩٠٠٠ ، ولمـــا إشتركت القوات الجوية في العمـــليات .. كان هناك خط منتظم لطائرات النقل الحربى بين مطار ألماظة بمصر الجديدة وبين مطار صنعاء عاصمة اليمن ، ومطار الروضة القريب من العاصمة صنعاء .

***

القوات الجوية في اليمن

إزداد عــنف المعارك علي أرض اليمن سواء كانت دفاعية أو هجومية ، وعلي مدى ثلاثة أشهر إستبسلت القوات البرية ، بكل الشــجاعة والإقدام ، وإتسع نطاق المعارك الأرضية في جميع الإتجاهــات شــمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، تتحرك القوات من مركز التجمع والقيادة في صنعاء العاصمة إلي المحاور الجبلية فــي كــل إتجاه ، وزاد الحرج للموقف العسكرى .. فالإنتصار والحســم لــم يتحقق ولم يقض علي المقاومة الفوضوية للقوات المعادية للجمهورية ، بل إزدادت أعداد المقاتلين الموالين للإمام، وكــانت القوات البرية المصرية الباسلة تحارب وتقاتل عدوا لا تعرف له مواقع جغرافية مُحددة ، ولا أعداد أو تشكيلات منظمة معروفة .. فكانت القوات تتوجه إلي موقع لتحتله وتقضى علي المقاومة فيه .. فتجده قد خلا من المقاتلين الذين يتجهون بسرعة عجيــبة إلـــي محور آخر يقطعونه ويشكلون الكمائن في مواقع أخــرى .. فتتحرك قواتنا إلي المواقع الجديدة بأرتالها المصفحة والمدرعــة .. وتحــدث المعارك .. تنتصر فيها قواتنا لبعض الوقــت .. وفجــأة تختفى تماماً قوات العدو منسحبة ـ وسليمة

تماماً وأسلوبها في الإنسحاب هو الجرى والركض السريع علي الأقدام الرفيعة التى تشبه أعواد القصب السوداء الهزيلة المنظر القوية الطاقة .

* * *

وإزدادت كثافة الأعمال الطبية .. وأنشئت المستشفيات الميدانية علي عجل لعلاج الجرحى والمصابين من قواتنا الباسلة ، بل أنشئت وحدة خاصة قوامها جنود من النجارين يصنعون صناديق خشبية توضع فيها جثث شهداء مصر لحفظها وإعادة ما يمكن إعادته إلي أرض الوطن العزيز مصر ليحتضن تراب مصر هذه الأجسام الطاهرة لشهداء أبرار إستشهدوا علي أرض خارج أرض وطنهم العزيز مصر ، فالواجب نحوهم أن تسجى أجسادهم في أرض أجدادهم وأهلهم .

* * *

وأصبحت القوات البريه وحدها غير قادرة علي حسم هذه الحرب ، وتحقيق النصر منفردة ،وفي نفس الوقت، وبكل الحسابات السياسية والعسكرية ، فإن فكرة إنسحاب وعودة القوات المصرية من أرض اليمن كانت فكرة مرفوضة تماماً

لأنها من الناحية العسكرية .. ستغرض الآلاف من خيرة شباب مصـــر من ضباط وجنود إلي مذبحة يقضى فيها عليهم .. في أرض معارك لا تتصل بأرض الوطن الأم بل تبتعد عنها ألاف الكيـــلو مترات، ومن الناحية السياسة ستكون هي النكسة الثالثة الـــتى تـــتعرض لها القيادة المصرية السياسية في مصر زعيمة الأمـــة العـــربية ، فنكستها الأولى كانت الحرب سنة ١٩٥٦ .. والـــتي نجحـــت أجهزة الإعلام في تحويلها إلي إنتصار وذكاء عســـكرى ومقـــدرة بارعة علي الإنسحاب من سيناء ، والنكسة الثانية هى فشل الوحدة الشاملة مع الدولة السورية التي إستمرت ثلاثة سنوات منذ سنة ١٩٥٨ وحتي سنة ١٩٦١ ، وطرد وإهانة القيـــادات العســـكرية المصرية التي كانت موجودة في سوريا ، وإعادة هذه القيادات العسكرية ، وكان معهم المشير عبد الحكيم عامـــر إلي مصر في مناخ مذلة وفشل وهزيمة .. ولكن أجهزة الإعلام المصرية برغم كل أساليبها في تصوير فشل هذه الوحدة

لم تنجح في تحويلها كالعادة إلي إنتصار أو تقدم علي مسار المشـــوار العربى التقدمى .. ولذلك لم يكن أمام القيادة السياسية والعســـكرية المصـــرية إلا طريقاً واحداً .. هو الإستمرار في حرب اليمن مهما كانت التضحيات ومهما كانت التكلفة سواء في

المـــال أو الســـلاح أو دمـــاء الشهداء من أبناء مصر وشبابها البواسل ضباط وجنود القوات المسلحة .

***

صدرت الأوامر بسرعة شديدة ، وبدون تفكير أو قلق أو خوف من مزيد من التورط أو الحرج .. أن تشترك القوات الجوية في الحـــرب علي أرض اليمن بأى شكل من الأشكال وبأية إمكانات مهمـــا كان الثمن ، وكان هذا القرار من الناحية العسكرية واجباً وحتمياً .. فالقوات البرية في أى معارك في تاريخ الحروب في العـــالم كلـــه فـــي القرن الأخير " القرن العشرين " ، لا تتكامل معاركها بدون مساندة جوية من الطائرات المقاتلة أو القاذفة أو طائرات النقل أو الهليكوبتر .. وكنا نحن ضباط القوات الجوية متشـــوقين للإشتراك في هذه الحرب، وحتي أكون صادقاً .. لم يكن ما يتملك نفوسنا هو مشاعر وطنية فقط بالرغم من الحملات الإعلاميـــة الضخمة.. فقد كان الهمس بين العسكرين ماجدوى هذه الحرب ، وما هي أهدافها .. بل ماهى أيضاً المبادئ السامية التي تحميها ولكن شعورنا بوجوب اشتراكنا في هذه الحرب كان نابعـــاً من مشاعر عاطفية وإنسانية فإننا ،نشاهد يومياً أصدقاءنا

وزملاءنا ضباط القوات البرية تعود أجسادهم إلي أرض الوطن شـــهداء .. بـــدون معونـــة من قواتنا الجوية ،وأذكر أثنين من أصدقائى من ضباط المشـــاه وســـلاح المهندسين كانوا يسكنون نفـــس الشارع الذي أسكنه في مصر الجديدة ، تقام لهم الجنازة المهيـــبة والصـــناديق الـــتي تحمـــل أجسادهم الطاهرة تتصدر المشيعين، بين همس وشكوك البعض من أنها صناديق خالية أو بها بعض بقايا من الرفات الطاهرة .

ولمـــا صـــدرت التعليمات والأوامر بإشتراك القوات الجوية في الحـــرب ، كانت الترتيبات أن يكون الفوج الأول من المهندسين المتخصصـــين فـــي تجهيز الممرات ومهابط الطائرات اللازمة لـــلطائرات المصرية المقاتلة والقاذفة والناقلة . وكنت أنا ضمن هـــذا الفـــوج مـــن المهندسين والفنيين ، وتسلمت أمراً مكتوباً يعطينى الشرف في الإشتراك في العملية ٩٠٠٠ العسكرية علي أرض اليمن .

***

في طريقى إلي اليمن

كنا ضمن فريق العمل من المهندسين والفنيين الذي سيتوجهون إلــي أرض المعارك في اليمن لتجهيز المطارات اللازمة لقواتنا الجويــة ولطياريــنا البواسل ، وكانت الأوامر أن نستقل طائرة ركــاب ضخمة وعسكرية تسمى الأنتينوف ، ولما كانت صنعاء عاصمه اليمن لا يوجد بها مطارات فقد صدرت الأوامر للقوات الــبرية في اليمن لتجهيز أرض مسطحة ترابية وتسويتها بقدر المســتطاع وتكون قريبة من العاصمة صنعاء . لهبوط الطائرة المصرية ، وأدت القوات البرية وبكتائب المهندسين العسكريين .. قدر المستطاع في تجهيز أرض نزول ، وتم إختيار طاقم من الطيــارين المدربيــن تدريــباً عاليــاً جداً ..لتنفيذ هذه المهمة الإنتحارية والمقررة علي هبوط الطائرة علي أرض نزول وممر تــرابى ، كمخاطــرة عســكرية والمطلوب هو حسن التصرف والتحكم في لحظات الهبوط .. والتعرض لمخاطر هذه الأرض مــن حيــث عدم إستوائها ، أو هبوط أجزاء منها نتيجة الوزن

الثقيل للطائرة . وأقلعنا في الواحدة صباحاً .. لنصل إلي أرض اليمـــن فـــي الثامـــنة من صباح ضوء الشمس الساطع ، وأذكر مشـــاعرنا عـــند وصولنا إلي سماء هذه الأرض ، وكيف كان الطيار يدور ويدور حول هذه الأرض مقترباً منها يبحث بنظره وعيـــنيه المجردتين عن الأسلوب المناسب للهبوط .. وبعد عدة دورات كـــثيرة .. حـــدد الطيار الماهر ، مسار الهبوط ، الذي كانت القوات البرية قد جهزته .. وكان الجنود المصريون يقفون علي جانبين يحمل كل منهم عصا خشبية فوقها أقمشة بيضاء ، لـــتحديد الممر وعند هبوطنا ومع جرى الطائرة علي هذا الممر حـــوالى ثلاثـــة كيلومترات كانت الطائرة تقفز إلي أعلى وأسفل وكـــانت أنفاســـنا محبوســـة حـــتي توقفت محركات الطائرة ، وأحضـــروا لنا سلماً خشبياً بدائياً جهزوه لنزولنا من الطائرة ، وكـــانت رحمـــه الله بنا كبيرة ، فبعد نزولنا بدقائق فوجئنا بأحد الإطـــارات الكاوتشوك الخاصة بالطائرة يطرد ما به من هواء نـــتيجة إحـــتكاكه بـــأحد الأحجار الصغيرة المدببة .. ثم ركبنا ســـيارات لورى مكشوفه لنتوجة بها إلي مدينة صنعاء العاصمة التي كان هبوطنا خارجها وعلي بعد حوالي عشرة كيلو مترات مـــنها . وحـــتي نلتقي بقيادة القوات المصرية علي أرض اليمن

والتي تتمركز في صنعاء العاصمة ، لنتلقي الأوامر ببدء العمل فوراً.

***

بوابة الحرية مدخل صنعاء

عرفـــنا مـــن زملائنا ضباط القوات البرية الذين صاحبونا منذ هبوطـــنا أن دخولـــنا لمدينة صنعاء العاصمة لابد أن يكون من بوابـــة المدينة الرئيسية الكبيرة وإسمها بوابة الحرية ومنها إلي الشـــارع الرئيســـي الـــذي يشق المدينة ، وقد سمى أخيراً بإسم شـــارع جمـــال عـــبد الناصر إعترافاً من الثورة اليمنية بفضل الـــزعيم المصـــري ، وكانت مدينة صنعاء محاطة بسور كبير وعـــال مبـــنى من الحجر لحمايتها من جميع الجوانب ، وكانت بوابـــة الحرية هي مدخلها الوحيد ، وبالرغم من أن المسافة بين مكـــان هبوطنا وبوابة الحرية المذكورة لا يزيد عن عشرة كيلو مـــترات ، قـــد قطعـــناها في حوالي الساعة والنصف لوعورة الطـــريق الغير ممهد ، وكنا قد غادرنا اللوارى المكشوفة التي نركـــبها مرتين . وكل منا يحمل سلاحة سواء البندقية الآلية أو المدفـــع الرشاش ، وكانت مغادرتنا للسيارة كلما سمعنا طلقات ناريـــة علي مسافات قريبة أو بعيدة فهى إشتباكات عسكرية بين

قواتـــنا البرية ، والقوات المعادية وكانت التعليمات لنا أن تكون أصابعنا جاهزة علي زناد السلاح ومستعده لإطلاق النار فوراً ، وعـــند وصـــولنا أمام بوابة الحرية ، وقبل دخولنا إلي صنعاء طلـــبوا منا النزول من السيارات لنقف بجوارها وسلاحنا جاهز لأن دخولـــنا إلـــي صنعاء سيتأخر حوالى ساعتين ، لأن البوابة ســـتكون مغلقة هذه المدة بسبب تنفيذ أحكام الإعدام علي أعداء الـــثورة خـــارج الـــبوابة والذي يتم دائماً في هذه الساعتين من النهار.

***

رؤوس معلقة علي بوابة الحرية

وأمام بوابة الحرية شاهدنا أحداثا أغرب من الخيال ، وحتي من أقوي الأفلام السينمائية المخيفة الخيالية ، لقد كانت هناك قوة من الجنود اليمنيين من الجيش الجمهورى ، بقيادة ضابط يمنى برتبة المقــدم وعرفنا أنه أحد كبار رجال الثورة اليمنية ، وكانت هذه القــوة تقــوم بتــنفيذ حكــم الإعدام علي مجموعة من الأسرى المقــبوض عليهم من أعداء الثورة الجمهورية .. وكما قالوا لنا أن محكمة الثورة كانت قد أصدرت حكماً بإعدامهم بقطع الرقبة بالســيف ..فهم من أتباع الإمام البدر الملك المخلوع والذي كان يحــارب ويقــاوم الــثورة بهؤلاء المقاتلين الخونة ، وكان عدد هــؤلاء المحكوم عليهم حوالي الثلاثين رجلاً يقفون في طابور طويــل وكل منهم ينتظر دوره لتنفيذ حكم الإعدام عليه ، وكان هــناك ســياف ضــخم الجثه يحمل سيفاً كبيراً وهو الذي ينفذ الأحكــام .. وأمامــه حجــر إرتفاعه حوالي المتر والربع يقوم المحكــوم عــليه بوضــع رأسه علي هذا الحجر ويقوم السياف

بضــربة واحــدة من سيفه الضخم بقطع رقبه المحكوم عليه ، وتســقط الرأس والفم مفتوح والعينين مفتوحتين ، فيأخذ الجنود الــرأس ويغلقون جفون العينين ، ثم يعلقون الرأس علي جانبي بوابــة الحــرية عــلي خطافات حديدية ، تشبة الخطافات التي يســتعملها الجزارون في محلات بيع اللحوم ، أما الجسم فيظل بعــد قطــع الرأس يتحرك ويتلوى حوالي نصف دقيقة وعندما تســكن حركــته يأخذونــه ويــلقونه في بئر قريب ، والمدهش والغــريب أن جميع هؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام كانوا سعداء جــداً لايحــاول أحدهم الهرب .. ويصرخون بصوت عال "الله أكــبر الله أكبر" وكان كل من يأتي دوره يقدم رأسه علي الحجر طواعية وبدون مقاومة ، سعداء بكونهم شهداء مثواهم الجنة فهم جــنود الإمــام البدر ـ وحماة الدين ـ يستشهدون في سبيل الله والوطــن والديــن ، وقــد نبهــنا زملاؤنا الضباط الذي كانوا يصــحبوننا أن نلاحــظ ما كان يمسك به في يده كل واحد من هــؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام .. فكل واحد منهم يمسك ورقة بقوة بها صك موقع عليه بخاتم الإمام البدرـ يعطي له حقاً في بضع فدادين وحدائق في الجنة ـ ، والتي سيذهب إليها حتماً هذا الشهيد المؤمن .

وكـــان مـــا شـــاهدناه أمام بوابة الحرية في صنعاء أول مشهد مأســـوي رهيـــب جعلـــنا في الحقيقة نشعر بإنقباض شديد وألم إعتصــــر قلوبنا ونفوسنا ، وهمسنا لبعضنا في تشاؤم مرير .هل مـــن الممكـــن أن تنتصر قواتنا المصرية علي هؤلاء المقاتلين المجـــاهدين المؤمنين إيماناً دينياً عميقاً بلا حدود ؟ يحاربون ، ليـــس فقط لتحقيق نصر إيماني ديني ولكنهم يرحبون ويفرحون بالإستشـــهاد فـــي ســـبيل الله والحماية لإمامهم البدر وزعيمهم ورئيســـهم الدينى ، وربما كانوا يفضلون الإستشهاد فهم واثقون بإنتقال أرواحهم إلي جنات الخلد والنعيم ..

وتذكـــرت فيلماً سينمائياً كنت قد شاهدته في مصر قبل سنوات مـــن سفري إلي اليمن إسمه كوفاديس ، والفيلم المذكور يصور شهداء المسيحية في العصر الروماني يقدمون أنفسهم وأرواحهم في الإستاد الكبير في روما عاصمة دولة الرومان ويصور الفيلم الآفاً من المسيحيين يساقون لتلتهمهم الأسود والنمور وسط تهليل الوثـــنيين الـــرومانيين ، وكـــانت الفرحة والسعادة تغمر هؤلاء الشهداء بين الغناء والترتيل ، فإيمانهم أكيد أن أفواه هذه النمور

والأســـود ستنقل أرواحهم إلي عالم آخر ملئ بالسعادة والصفاء خالد بلا نهاية .

***

تجهيز المطارات في اليمن

كـــنا نسابق الزمن ، فالطائرات المصرية المقاتلة والقاذفة يجب أن تصـــل وتشترك في الحرب بعد أسبوعين، وكانت مهمتنا أن نجهز ممرات ومهابط تسمح لهذه الطائرات بالعمل فوراً ، فكل تأخير معناه مزيد من الحرج والمعاناه لقواتنا البرية التي كانت تتحرك في مهام إنتحارية في جميع المحاور وفي كل الإتجاهات بـــدون غطـــاء جـــوى ، يسهل لها مهامها ـ سواء بالإستطلاع ومعـــرفة مواقـــع العدو أو لضرب القوات المعادية التي تعوق التقدم والمناورة ، وكان قتال القوات البرية بدون الغطاء الجوي يشـــبة تحـــرك الإنسان الأعمى الذي يقاوم بيديه ورجليه ولكن ضرباته معظمها غير مؤثرة ـ ومجهوده الضخم يضيع هباء في إتجاهات خاطئة وغير مؤثرة .

وكنا نعمل ليل نهار بدون توقف فالدقيقة لها قيمة كبيرة ومعناها شهداء أبرياء من خيرة شباب مصر ، ونجحنا بالأساليب البدائية

اليدويـــة في تجهيز ممر رئيسي وممر تبادلى ومهبط قريب من العاصـــمة صـــنعاء سمى بمطار صنعاء ، وبعدها قمنا بتجهيز منطقة أخرى بممر أطول ومهبط أكبر علي بعد حوالى أربعين كيـــلو مـــتراً من العاصمة صنعاء . في منطقة تسمى الروضة وســـمى بمطـــار الروضـــة ، وكان التعاون بيننا وبين كتائب المهندسين العسكريين في القوات البرية ، كلنا يتفانى بكل الجهد والعرق في سبيل إنجاز هذه المهمة التاريخية في أسرع وقت ، وكـــانت قوات المشاه البرية تحمينا أثناء عملنا ليل نهار ، وقد سقط الشهداء من مجموعات عملنا نتيجة طلقات مفاجئة ـ وقذف بـــندقى مـــن عصابات فوضوية كانت تنقض علينا فجأة تطلق النيران ثم تهرب بسرعة البرق إلي الوديان والجبال والمغارات، وخاصـــة أثـــنا عملنا الليلى مع أضواء كشافات السيارات ، أو المشاعل التي تنير لنا بوقود الجاز ، أو الكيروسين .

***

وكـــانت إقامتـــنا في خيام متنقلة وسلاحنا الثقيل علي أكتافنا ، وكـــانت تجهيـــزات مطار الروضة أفضل من تجهيزات مطار صـــنعاء وكـــلها بالأسلوب البدائى ، فالممرات أراضى ترابية ممهـــدة ومدكوكـــة لـــتحمل أثقال الطائرات ، وجوانبها محددة

بأحجار كبيرة مدهونة بالجير الأبيض ، لتسهيل الهبوط عليها في النهار أما الطيران الليلي - فقد حددت جوانب الممرات والمهابط بمشاعل بدائية ـ عبارة عن علب من الصاج مملوءة بالجاز أو الكيروسـين ـ تعطى الوقود والتغذية للفتيل الذي يخرج منها .. وكـان هـذا أقصى ما يمكن عمله من الناحية الهندسية في هذا الـزمن القياسـي .. والـذي لا يصلح مطلقاً من ناحية قوانين وقواعـد الطيـران للإسـتعمال الأمن والسليم ولكن الشجاعة والخـبرة والكفـاءة العالية لطيارينا البواسل جعلتهم يقبلون بكل الفـرح والإسـتعداد إستعمال هذه الممرات البدائية في طلعاتهم الإنتحارية الباسلة وهبوطهم ، ليشتركوا في المعارك العسكرية ، وحماية وعوناً للقوات البرية المناضلة الباسلة .

***

واسـتمر عملـنا بعـد ذلك لمزيد من التحسين والصيانة لهذه المطارات شهوراً وشهوراً ، وفي الحقيقة لقد نسينا وطننا مصر، ففـي ذلـك الوقت كان لا يوجد نظام للأجازات أو الراحات يصـل الضباط والجنود إلي أرض اليمن - وتنقطع الصلة تماماً بأهلهم ووطنهم مصر ـ ففى ذلك الوقت لم يكن هناك إتصالات تليفونية – الصلة الوحيدة هي البريد الحربي بين مصر واليمن ـ

والرســـائل تصل في حالة الإستعجال بعد شهر أو شهر ونصف مـــن مصــــر أو من اليمن .. وكانت جميع الرسائل عليها خاتم مطبوع حفظناه جميعاً – وهو خاتم الرقابة الحربية ، نظراً لأنه مـــن الممـــنوع تماماً الكتابة بأى ألفاظ تحمل معانى سياسية أو عســـكرية فالمخابرات الحربية تصادر تلك الرسائل .. وتحرم راسلها ومستقبليها وتقطع الإتصال بينهما .

***

وطـــوال عملـــنا في المطارين مطار صنعاء ومطار الروضة – وإقامتنا في خيامنا المتنقلة كانت مشاعرنا صادقة وسعيدة بأدائنا الوطـــنى – وإحساســـنا بتأدية الواجب علينا بكل الطاقة والهمة والشجاعة .

***

ولكـــن كـــان هـــناك معوق وحيد لعملنا يعطينا إحساساً بالقرف والمـــلل كـــان هذا المعوق هو الحضور المستمر للعقيد السلال رئيـــس جمهورية اليمن ، الذي كان يأتى بنفسه ومعه زمرة من حكومته – ليتابع عملنا متصوراً أنه بزياراته المستمرة الميدانية لنا – يدعونا إلي سرعة العمل ، ويتابع بعدم خبرة ما أنجزناه .. وفي كل مرة كان عصبياً يتعجل التنفيذ – فهو قلق وخائف علي

ثورتـــه الجمهوريـــة ، يتعجل وصول قواتنا الجوية حفاظاً علي مكاســب ثورته الجمهورية ومكاسبه الشخصية - فقد تحول من عقيد في الجيش إلي رئيس جمهورية - وكانت كل حواراته معنا تـــزيد من إحساسنا الداخلى بالقرف ولا نظهره علي وجوهنا ، فنحن قوم عسكريون .

نـــتظاهر بإحـــترام ما يقول ، أما دواخل نفوسنا وعقولنا فكانت تـــزدحم بمشاعر عكسية لا تقتنع بأقواله وأحاديثه التي تتصف بالعفويـــة والعـــنجهية ، والأسوء منها المشاركات الكلامية من رفاقه وأعضاء حكومته الذين لا تستطيع أن تصف رؤوسهم إلا بأنهـــا مخـــازن مركـــزة للجهل والتفاهة والعنجهية ومركبات النقص.

***

ذبابة في طبق العدس

أثـــناء طعامنا في اليمن ، ونحن نجلس في الخيام ، وأفواج من الذبـــاب تطير حولنا ، ودائماً ما يحدث أن تسقط ذبابة لعينة في طبق العـــدس الخفـــيـــف ، الذي لا طعم له وميزته الوحيدة أنه ســـاخن ، تعودنـــا بإلقـــاء هذه الذبابة خارج الصحن الحديدي ونســـتمر في الطعام ، لأنه إذا فرض أن رفضنا هذا الطبق فلن نجد غيره ، ونكون قد حرمنا أنفسنا من الترفية الذي يوزع علينا كل فترة ، ولتتحمل آذاننا أصوات جوعنا الشديد .

كـــان جهـــاز التعيينات " أى الطعام " في الجيش المصري هو المسئول عن التغـــذية اليومية والمستمرة لهذه الآلاف من الجنود والضـــباط علي أرض اليمن ، وكانت مهمة هذا الجهاز صعبة ومعقده جداً ، فالضباط والجنود يقاتلون في مناطق جبلية وعرة تستنفذ الطاقات ، والجهاز المذكور مسؤول عن إمدادهم بإنواع من الأغذية تعطيهم علي الأقل ما يكفى من السعرات الحرارية

اللازمـــة ، عـــلاوة عـــلي الصعوبات الرهيبة في توصيل هذه الأغذية إلي الوحدات في المحاور المختلفة .

وكـــان الإمـــداد الرئيسي لهذا الجهاز يأتى من مصر علي بعد آلاف من الكيلو مترات وفي المراكب والسفن .. التي تصل إلي الحديدة ومنها إلي العاصمة صنعاء ، ثم توزع علي الوحدات ، وكـــانت السيارات واللواري التي تحمل الغذاء تحتاج إلي حماية عسكرية برية أثناء تحركها فكم تعرضت لغارات قتالية معادية ، وحـــرمت القـــوات من وصول عشرات الأطنان من حمولات الغـــذاء بســـبب ضربها أو نهبها .. لذلك كان الغذاء شحيحاً .. وبكميات تسمى في الأعراف العسكرية " تعيين القتال الحرج" .. وكـــان طـــبيعياً نـــتيجة هذه الظروف القاسية ، أن تكون أنواع الأغذيـــة التي توزع من أصناف قليلة الوزن ، عالية السعرات الحرارية .. فكانت الكرات الصخرية من الحلاوة الطحينية هامة جداً ، تتكون منها معظم الوجبات ، أما الخبز ، فلقد نسينا تماماً شـــكله وطعمـــه فكنا نحلم به حتى لو كان أسوداً مليئاً بالزلط والـــتراب- والـــبديل للخبز الذي كانوا يوزعونه علينا هو قطع صغيرة متحجرة تشبة البسكويت ، عبارة عن دقيق أسود مركز

مخلوط بالملح مخبوز في مصر ، ومعبأ في كراتين يصل إلينا ـ بعد ثلاثة أ سابيع ناشفاً ومتحجراً ، وأشتركت الإدارا ت الطبية العسكرية ، مع إدارة التغدية ، وقدمت حلولاً سريعة لحماية الضباط والجنود المقاتلين من الضعف والهزال، فكانوا يرسلون لنا مع الوجبات أو بدلاً عنها مايسمى بحبوب الفيتامينات ، وهي أقراص مستديرة بألوان مختلفة ، وكنا نبتلعها ضاحكين ، فالقرص الأحمر كنا نسمية ديك رومى مركز ، أما القرص الأصفر فكنا نسمية كيلو لحمة . والقرص الأبيض الصغير نفرح به ضاحكين فهو أرنب لذيذ بالملوخية الخضراء .

***

وأحياناً تصل إلي اليمن عبوات من أغذية من نوع خاص فهي يمكن أن تقدم ساخنة وهذا قمة الترفية والدلع.. كانت هذه الأغذية تحتوي أحياناً من العدس الأصفر ، أو اللوبيا البنية اللون، وأحياناً علباً من اللحم المحفوظ المسمى بالبيلوبيف .. والمشكلة والسبب في ندرة هذه الأصناف أنها تمثل حجماً كبيراً وعبئاً ثقيلاً علي جهاز النقل اللازم لتوصيلها من مصر إلي اليمن ثم إلي القوات ، لذلك فإن طبق العدس الساخن السعيد،

نفرح به ونهلل له وقد نقسم أنفسنا إلي نوبتجيات تحمل قطعاً من القماش لحماية طبق العدس السعيد من هجمات القوات المعادية من الذباب الطائر .

وإزداد العبء علي جهاز التغذية بعد وصول الطيارين المصريين ، فالقوانين الدولية العسكرية والمعدلات الصحية لغذائهم لها شروط ومواصفات خاصة تتناسب مع مهامهم الصعبة جداً .. ويجب أن تفي بأقل ما يلزم من سعرات ، تحترق في الإرتفاعات العليا من الجو والتي يتغير فيها الضغط الجوي مؤثراً بقوة علي أجسامهم ، إزدادت الأعباء علي جهاز التغذية العسكرية ، وزادت الصعوبات في وصول الإمدادات من مصر – فصدرت التعليمات ، أن يستعينوا بالإمكانيات المحلية .. أى شراء الطعام من الأسواق اليمنية ، ولكن المصيبة الكبري أن الكميات المعروضة كانت قليلة ونوعياتها غير مألوفة أو معروفة ولما عرفت القوات المعادية بذلك بدأت تدس الملوثات في هذه الأغذية .. مما سبب مزيداً من الحرج ، وإضطر جهاز الأغذية أن يعتمد فقط علي شراء ما يمكن ذبحه من خراف ونعاج بأى ثمن .. بالرغم من أن المواشي في اليمن التي

تخصصت النساء في رعيها كانت هزيلة ضعيفة ، تشبة الكلاب السوداء الضالة في شوراع القاهرة ، وكان لها طعم غريب جداً مــن المــرارة والــزفارة وكان نفورنا منها أقوي من أصوات عصافير بطوننا .

***

وحــتي أكــون صادقاً وأعطي كل ذى حق حقه فلا أنكر مطلقاً الوفــرة لكميات الشاى والسكر التي كانت توزع علينا ، وكذلك كميــات الســجائر توزع علي الجنود والضباط .. وكان الشاى والســكر والسجائر .. كلها مستوردة يشتريها جهاز الأغذية من الســوق المحــلية في اليمن، وكان الجندي يحصل علي علبة ســجائر يوميــاً أما الضابط فيحصل علي علبتين ، وربما كان التدخين المكثف يساعد علي سد النفس والقضاء علي الجوع.

***

مدينة صنعاء العاصمة

فـــي ذلـــك الوقت كانت هناك نكتة وفكاهة ظريفة تقول أن آدم وحواء ركبا طيارة سنة ١٩٦٢ وأخذا يلفان حول الكرة الأرضية لمشاهدة بلاد العالم كلها ، وكانا مذهولين من حضارة مدن العالم كـــلها التي لم يعرفوها أو يفهموها ، سواء في أمريكا أو أوروبا أو أفـــريقيا أو آسيا ، فالحضـارة والتقدم يعم جميع بلاد العالم ، وعـــندما وصـــلت الطائرة فوق سماء اليمن – تحلق فوق مدينة صـــنعاء صـــرخ آدم محدثاً حواء "ياحواء هذه هي اليمن وهذه المدينة هي صنعاء ، وعرفها آدم وحواء ، نظراً لأنها لم تتطور أو تتغير منذ أيام آدم وحواء .

فهـــي مدينة متخلفة جداً ، لا تعرف الحضارة أو التقدم – تسير فـــي طرقاتها وبين مبانيها فتشعر أن التاريخ قد تأخر أكثر من ثلاثـــة آلاف عام ، وقطعاً ستكون البسمة والضحك علي فمك ، فكـــل مـــا فيهـــا متخلف لدرجة الإضحاك والسخرية ، فالطرق

عبارة عن شرايين ضيقة متعرجة تضيق وتتسع وتصعد وتهبط ليس بسبب تضاريس الأرض ولكن لأكوام الأتربة والمخلفات ، أما المبانى جميعاً فهي من طابق واحد بأسقف خشبية والحوائط مـــن الحجـــارة المرصوصـــة فوق بعضها ، ولكن كانت هناك معجزة معمارية فريدة وخطيرة لقد كان هناك مبنى من طابقين فـــوق بعضهما ـ وهذا المبني هو القصر الجمهوري والذي كان قـــبل الـــثورة هـــو القصر الملكى الذي يسكن فيه إمام اليمن ، وكانت المعجزة الغير طبيعية التي تدل علي معجزات هذا الإمام الخارقـــة أن يكـــون هناك مبنى به طابق علوى ، يحمله طابق سفلى ، وأذكر مرة عندما كنا نتجول بجوار هذا القصر أن قطع طريقنا شيخ قبيلة يمنية وحوله أتباعه ، يسألنا بصوت عالى جداً – "يـــا مصريين هل عندكم في بلدكم مصر منازل بطابقين مثل هذه المعجزة المعمارية الفريدة " .. وطبعاً أجبناه بالنفي فمصر كـــلها مساكنها من طابق واحد وكنا نخفي خلف وجوهنا سخرية مـــن هـــذا السؤال العبيط ، ولكن الرجال نظروا إلينا .. بعطف وحزن علينا وقالوا لنا " أنتم مساكين والله مساكين ومتخلفين في مصـــر " . وكان هناك طريق وحيد يمكن أن نسمية شارع فهو الأوســـع نسبياً وأقل الطرق تعرجاً ، وهو يبدأ من بوابة الحرية

مدخل صنعاء ويخترق المدينة كلها وقد قام العقيد السلال رئيس الجمهورية . بإصدار قرار أن يسمى هذا الطريق " شارع جمال عبد الناصر" عرفاناً بفضل رئيس جمهورية مصر العربية علي ثورة اليمن التقدمية.

***

كـــانت مدينة صنعاء في ذلك الوقت تغمرها روائح كريهة جداً لعـــدة أســـباب أولهـــا أن هـــذه المدينة لا تعرف نظام صرف المجـــارى أو مواسيرها .. فالمخلفات كريهة الرائحة تخرج من فتحات في حوائط المبانى تصب مكشوفة في حفر ، أما الزبالة والقـــاذورات فهي ملقاه حول المساكن للكلاب والقطط الضالة – وقـــد يقـــوم بعض السكان بمجهود شخصى بحملها في عربات خشبية مكشوفة إلي خارج المدينة ، وكان هناك شارع هام جداً في مدينة صنعاء ، إنه الشارع التجاري المسمى بسوق الملح .. وهـــو طريق ترابي طبعاً .. فالمدينة كلها لم تسمع عن إختراع مـــادة الأسفلت لتغطية الشوارع .. وكان سوق الملح هذا عبارة عن شارع طويل جداً وضيق ومتعرج .. تقع المحلات التجارية علي جانبيه وبطوله ، وجميع المتاجر والدكاكين في هذا السوق

يمتـــلكها العدنيـــون ، وهم المواطنون اليمنيون الجنوبيون الذين يسكنون أصلاً في مدينة عدن ، وهي الميناء الجنوبي علي البحر الأحمـــر والـــتي كانت مستعمرة بواسطة الأنجليز ، وأهل عدن يتميزون بالنشاط والشطارة في التجارة لذلك فإنهم يتحركون بين عـــدن وصنعاء ، يحملون البضائع والحاجيات يبيعونها إلي أهل صنعاء ويعودون لإحضار غيرها .. ولم نصادف مطلقاً في هذا السوق تاجراً يمنياً واحداً .. وذلك لأنهم غير خبراء في التجارة، لأنهـــا تحـــتاج حســـب قولهـــم إلي مجهود فكري وتعب ذهنى وحسابي .

و يذكـــر التاريخ أن اليمن هي الدولة الوحيدة في بلدان الشرق الأوســـط أو الأقصي التي لم يدخلها إستعمار من أى نوع طوال تاريخهـــا القديـــم والحديث ، وأعتقد أن السبب في ذلك ، فقرها المدقـــع .. وخـــلو أرضـــها من أى ثروات أو منافع تطمع في إســـتغلالها أى دولة إستعمارية .. وفي نفس الوقت طبيعة اليمن الجبـــلية القاســـية الـــتي تجعـــل أى قتال علي أرضها لجيوش الإستعمار مستحيلاً ، وغير دى جدوى لذلك فإن شعب اليمن لم يحدث له أى إحتكاك بأى شعب من شعوب العالم طوال تاريخه،

لذلـــك فـــأنت تشاهد حولك في صنعاء فيلماً سينمائياً – يصور تاريخ البشرية منذ ثلاثة آلاف من الأعوام .

وأهل صنعاء أكثر حظاً في النظافة من باقي القري والتجمعات فهـــم يعرفون الإستحمام بالماء ، ولكن الإستحمام لا يتم داخل المســـاكن .. ولكـــن في حمامات جماعية خارج أسوار صنعاء يـــتوجه إليهـــا الـــرجال شهرياً في إحتفالية جميلة يشترك فيها الأصدقاء والأقارب والنساء والزوجات والأبناء .. ويستقبلونهم عـــند عودتهـــم بالفـــرح والإبتهاج .. أما النساء فهم أيضاً لهن حمامـــات جماعية خارج المدينة .. يذهبن إليها شهرياً ، ولكن إحـــتفاليات توديـــع النساء والبنات أو إستقبالهن كانت لا تضم الرجال بل النساء فقط .

***

القات المخدر اليمنى

لــم تكــن الخمــور منتشرة بين اليمنيين .. بصورة عامة إنما يتعاطاها الأغنياء سراً داخل مساكنهم فكان مصدر هذه الخمور هم التجار القادمين من عدن ، يبيعونها سراً وبأسعار باهظة جداً لا يقدر عليها إلا أغنياء القوم ، وحسب القوانين السائدة من أيام الإمام بدر فإن من يتعاطى الخمر يلقي في السجن ، فهو مخالف لــتعاليم الدين ومن لا يستطيع من هؤلاء الأغنياء شراء الخمر ســراً فإنــة يشــترى زجاجــات الكولونيا التي تحتوى على الكحول، .. أما الحشيش أو الأفيون فبالرغم من أنه غير محرم ديــنياً فإنه كان قليل الإنتشار ، ربما لغلو سعرة أو لعدم ملاءمة طعمة للمزاج اليمنى.

وكــان المخــدر الأساسى المنتشر ببشاعة بين جميع اليمنيين ، وأتعمد هنا أن أقول جميع اليمنيين فهو القات ، فهو ليس محرماً لا ديــنياً ولا قانونيــاً ، وعرفت أن الإمام البدر وحكومته كانا

يشجع علي إنتشاره بين شعبه، حتي يزيد من غيبتهم عن الوعى تصـــوراً منه أنه كلما زادت غيبة الوعى والخمول والكسل بين الشـــعب ، كـــان ذلـــد ضماناً لمزيد من سيطرته علي الحكم ، وإظهـــار نبوغه ، وتأكيد معجزاته الخارقة بين قوم من الجهلاء والكسالي والمتخلفين .

وكـــان نبات القات هو الغالب في جميع الحقول الزراعية علي أرض اليمن يرويها الأمطار الغزيرة ، فتنبت شجيراته الخضراء القصـــيرة ، والتي هي في الحقيقة جميلة المنظر وكان كل يمني يتباهي بمقدرته علي مزيد من تعاطى نبات القات ، يمسك النبات حزماً حزماً مثل عروق الملوخية الخضراء . ويقوم بمضغ هذه العـــروق فـــي فمـــه ليمتص ما بها من سوائل ، ثم يكور هذه الحـــزمة مـــن الزرع في أحد جوانب فمه كرة كبيرة بارزة من خـــده ..ويســـيل لعابـــه مـــن فمه .. وكانت تسمي هذه العملية بالـــتخزين ـ واليمنى الذي يخزن تراه جالساً علي الأرض شبه نـــائم أو تائـــه يستند بظهره إلي جدران المنازل وفي الطرقات والشـــوارع ، أو الأمـــاكن المكشوفة تجدهم غائبين عن الوعي يســـرحون في ملكوت آخر من السعادة واللاوعي وعيونهم شبة

نائمـــة ووجوهـــم مرســـوم عليها نصف إبتسامة لسعادتهم في التحليق في سموات أخرى فوق سطح الأرض .

والغـــريب فـــي الأمر هو الطبيعة الحضارية لهذا الشعب ، فما يحدث في اليمن هو العكس تماماً لما يحددث بين شعوب العالم ، فـــرجال العالم أجمع ولسوء حظهم هم الذين يعملون ويشقون ، بيـــنما النساء في العالم معظمهم ، يعتمدون علي عرق الرجال لتحقيق مطالبهم الحياتية .

أمـــا في اليمن فالمرأة هي التي تعمل ، هي التي تقوم بالزراعة فـــي الحقول وهي التي تقوم برعي الأغنام .. وبعض الأعمال التجارية البسيطة ..

والنساء تقوم بكسب المال تلقيه تحت أقدام رجلها .. الذي يأمرها أن تشـــتري بمعظمة القات اللازم لإسعاده ، أما باقي المال فهي ملتزمة أن تدبر به ما يلزم الأسرة من طعام وملبس وخلافه ، وكـــنا كمصـــريين نـــتهكم ضـــاحكين ، وننادى رجال مصر المظلومين أن يقلدوا رجال اليمن السعداء المحظوظين .

والمشـــاهدة العجيبة أيضاً هي الملابس التي تمثل الزي اليمني المنتشر بين الشعب اليمني ، فهو أيضاً نظام معكوس ، ومخالف لمـــا تعارفت علية جميع شعوب العالم ، فالرجل اليمني ملابسه تـــتكون من قطعتين - القطعة العلوية عبارة عن قميص قصير يشبه البلوزة الحريمى - يغطي الصدر ويترك البطن مكشوفه ، أمـــا الجــزء السفلي فهو يشبة الجيب الحريمى القصير المسمى باليمـــني جيـــب . ينـــتهي فوق ركبته بحوالي الشبر ، والرجل اليمني يلقي بجسمه أثناء عملية تخزينه لمخدر القات يجلس علي الأرض ظهـــره للحائط ، ويحرك رجليه المكشوفتين الجميلتين القذرتين الرفيعتين المكشوفتين يحركهـــمـــا علي الأرض يميناً ويساراً في بطء وخمول، كما لو كانتا عصاتيين رفيعتين لمكنسة تحـــرك تـــراب وقـــاذورات الأرض التي يجلس عليها متكاسلاً خاملاً غائباً عن الوعي .

***

طريق صنعاء الجديدة

لمـــا كـــانت مدينة الحديدة هي الميناء الوحيد والرئيسي لليمن ، علي الجانب الشرقي الجنوبي للبحر الأحمر، فهي المنفذ الوحيد إلي العالم الخارجي .. وهي مدينة عتيقة ، متخلفة ، جوها شديد الرطوبة والحرارة وكان يربطها بمدينة صنعاء العاصمة طريق عجيب ـ يخترق الجبال الشاهقة بين المدينتين يلتف حول الجبال صـــعوداً وهـــبوطاً – إلتفافاً حلزونياً خطيراً من الناحية الأمنية والأمـــان للمركـــبات التي تستعمله – وهو الطريق الوحيد الذي عرف إختراع الأسفلت في جميع أنحاء اليمن – والذي أنشأ هذا الطـــريق هـــي جمهوريـــة الصين الشعبية الشيوعية منحه منها وعـــلي حسابها لدولة اليمن ـ وكانت الصين الشعبية تطمع في ضـــم اليمن الدولة الوحيدة التي لم يدخلها إستعمار غربي أو لم يحـــتك بها نظام إستعماري .. والصين الشعبية كانت تطمع أن تضـــم هـــذه الدولة إلي فكرها الأيديولوجي الشيوعي تنفذ منها بفكـــرها . ومخططاتهـــا إلي جيرانها من الدول الملكية .. التي

تتصورها رجعية .. خاضعة للإستعمار والرأسمالية الغربية ..
وقـد نفـذ المهندسون الصينيون هذا الطريق الذي يمثل معجزة
إنشـائية مـن جميع النواحي .. ولكن بعد إنتهاء الصينيين من
إنشاء هذا الطريق وبالرغم مما تكبدوه من مشاق وما تحملوه من
تكلفة باهظة ، وبالرغم من آلاف الضحايا القتلي الذين ماتوا أو
تساقطوا أثناء تنفيذ هذا الطريق من عمال أو مهندسين أو فنيين
إلا أنهم ضحوا بكل شئ ، ورحلوا عن اليمن ونسوا أو تناسوا
هدفهم الأصلي الفكري والأيديولوجي ـ وربما لعنوا أو حاكموا
صاحب القرار السياسي لإنشاء هذا الطريق .

وهذا الطريق العجيب الذي يصل بين مدينتين ، لا تزيد المسافة
بيـنهما عـن مائـتي كيلو متر فإن المركبة تقطعة في حوالي
العشرين ساعة ـ فهو طريق ضيق- عرضة في المتوسطحوالي
الأربعـة أمـتار يسمح بصعوبة بلقاء مركبتين قدوماً وذهاباً ،
والطـريق المذكـور ـ يصعد في مساره جبالاً شاهقة جداً – إذا
نظـرت إلي جانبك الأيمن لا تستطيع بالعين المجردة أن تشاهد
قمـم هـذه الجبال ، أما الجانب الأيسر فلا تستطيع أن تشاهد
الأعماق الرهيبة لهذه الجبال والوديان .

وطوال سفرك علي هذا الطريق المعجزة - فأنت تشاهد العجائب - فـــبعض المناطق تشاهد بها قطعاناً كبيرة من الغزلان الجميلة المـــلونة تجـــري وتـــتراقص علي أجنابه وحوله .. ثم تخترق مـــناطق أخرى مليئة بالقردة والنسانيس .. وبعض الغوريلات الصـــغيرة - تـــلعب وتقفز وتتسلق الجبال حول الطريق برشاقة وســـرعات عجيبة .. ثم تخترق مناطق تتعذب من شدة الحرارة والـــرطوبة فيهـــا .. وبعـــد مسيرة أخرى تفاجأ بمنطقة شديدة البرودة .. وتجد الثلوج تغطي جوانب الجبال حولك فترتعش من الـــبرد القارس .. إنه طريق تقابل فيه جميع المتناقضات وأيضاً الأعـــاجيب .. فهناك مئات الألاف من البشر يعيشون حوله .. وأعـــلي الجبال المحيطة به .. لا تعرف أو تفهم كيف يعيشون ومـــاذا يأكلون أو يشربون ، ومعظمهم يقضي حياته حتي مماته لـــم يغادر هذه الرقعة من الأرض لا يعرف غيرها ، ولا يتوقع أن يكون هناك عالماً غير هذه المنطقة التي يعيش فيها .

وكـــان هـــذا الطـــريق مفيداً جداً وضاراً جداً للقوات العسكرية المصـــرية ، فـــالجيش المصـــري تصل قواته ومعداته بالسفن الحـــربية الناقلة إلي ميناء الحديدة ثم تنقل بالمركبات واللوارى

إلي صنعاء العاصمة -- طوال هذه الرحلة الخطيرة والطويلة ، وكـــانت اللوارى والمعدات تسير مجمعة في طابور واحد يسمى القول . تحميها قوات وسيارات مدرعة ومدججة بالسلاح أمامها وخـــلفها وفوق هذه الناقلات والشاحنات جنود مدججون بالسلاح وجاهـــزون لإطلاقـــه فوراً علي كل من يعترض هذا القول أو يحاول قطع طريقة .

وكانت الخسائر كبيرة على هذا الطريق – علاوة علي الحوادث اليومية المتكررة وسقوط وتحطم المعدات والسيارات وسقوطها عـــلي جانـــبي الطـــريق متهاوية إلي الوديان السحيقة .. وكان المعـــروف فـــي ذلـــك الوقت أن مصر تخسر يومياً علي هذا الطـــريق مليوناً من الجنيهات ثمناً للمعدات والمركبات ، وعدداً ليـــس قليل من الشهداء من شباب مصر المقاتل سواء جنود أو ضباط .

وكان هذا الطريق يمثل أحد محاور الإستنزاف المحلي الرهيب لميـــزانية مصـــر الغـــنية التي بها فائض من الخير .. والمال والشباب يكفي للصرف علي دول كثيرة .

العـملة في اليمن

لم تكن اليمن تعرف العملة الورقية أو المعدنية التي يتعامل بها جميع شعوب العالم ، لأن التخلف الحضاري البدائي لا يفهم هذه الأساليب المتطورة في التعامل ، وكان الأسلوب السائد إلي وقت قـريب قـبل الثورة الجمهورية هو أسلوب المقايضة أى تبادل السلع والخدمات ، ولكن الإمام البدر في وقت قريب قبل الثورة أراد أن ينقل دولته المتخلفة إلي أفاق الحضارة ومجاراة العصر .. فقرر أن ينشئ نظاماً عصرياً للتعامل بالنقود، مما جعل شعبه يهلل له بأنه صانع اليمن الحديثة العظيمة التي هي أعظم شعوب العالم .

ولكن الإمام البدر ليس عنده مطابع لطبع النقود ولا أجهزة لسك العمـلات المعدنيـة .. وليس هناك أى تغطية إقتصادية من أى نـوع للـنقود الـتي يريد التعامل بها .. فما كان منه إلا إتخاذ الطـريق السهل وهو شراء العملة من دول أخرى وحقق مراده

واشترى عملة دولة النمسا التي كانت تتستعملها في القرن الثامن عشـــر وإســـتغنت عنها ـ وكانت عملة النمسا التي اشتراها ولا أدرى كيف دفع ثمنها ، تتكون فقط مما سماه هو الريال اليمني ـ وهـــو عبارة عن قرص أبيض من الفضة الخالصة يزن حوالي الـــربع كيـــلو جرام ، وكان هذا القرص يحمل في أحد وجهيه صـــورة كـــبيرة لإحدى السيدات .. ولا أدرى هل هي صورة لإحدى القديسات المسيحيات أو صورة لإحدي ملكات النمسا في القـــرن الـــثامن عشـــر وكان الوجه الآخر من هذه العملة عليه كتابات باللغة الألمانية القديمة .. أو لغة النمسا فهي غير مفهومة .. وكـــان معظـــم اليمـــنيين لا يحبون أو يفضلون التعامل بهذا الـــريال ، فهم يتعاملون بالأسلوب الذي فهموه وتربوا عليه وهو أسلوب المقايضة وتبادل السلع والخدمات.

***

وكـــان طبيعاً أن يكمل الإمام البدر أسلوبة الإقتصادي العصري المـــتقدم لنشـــر الفكر بإستعمال العملة .. ولذلك فإن هذه العملة "الريال" يجب أن يكون لها أجزاء أقل قيمة منها .. وكان التقدير الجـــاهل لهذه العملة أن يكون الجنيه الاسترليني يساوى ثلاثة ريالان وبالتالي فالجنية المصري يساوي نفس القيمة .

وجعـــل الإمـــام الـــبدر الـــريال اليمني يتكون من مائه بقشة ، وأصـــبحت البقشة هي وحدة التعامل المالي الصغري، وكانت هـــناك قطع من الصفيح الخفيف مقطعة باسلوب يدوي فوضوى .. يكتب علي أحد أوجهها قيمتها والوجة الآخر إسم الإمام البدر وكلها محفورة باليد ، أو يدق عليها بالحجر البارز ـ وكانت هذه القطـــع من الصفيح يكتب علي بعضها خمسين بقشة أى نصف ريـــال أو عشرين بقشة أو عشرة أو خمسة ، ونتيجة لعدم الفهم والفوضي والتخلف فلا مانع أن يكون حجم الخمسة بقشات أكبر مـــن العشـــرين بقشة المهم الكتابة التي عليها ومرتكون مربعة بغير إنتظام أو مستديرة أو مستطيلة .. أو مسدسة وكلها بأشكال غير منتظمة أو متشابهة .. وكان منظر هذه القطع من الصفيح مضحك .. ولكن بدأ إنتشارها وتداولها والتعامل بها .

***

وكانت المشكلة في حمل هذه المبالغ من العملة اليمنية - فهي لا توضع في محافظ ولا في جيوب الملابس ولكن توضع في علب مـــن الصـــفيح أو الخشـــب ، فأنت تتكبد حمولة متعبة في علبة صـــفيح أو خشـــب قـــد يصل وزنها إلي خمسة كيلو جرامات وقيمتها لا تزيد عن خمسة عشر ريالاً يمنياً .

وكـــان بدل السفر الذي يصرف لنا هو أربعة جنيهات استرلينية يومياً أى إثني عشر ريالاً يمنياً ، معني ذلك أن بدل السفر لمدة أســبوع هــو ستة وثمانين ريالاً - وزنها احدى وعشرين كيلو جرام - نتوجه بها إلي سوق الملح بمدينة صنعاء لنشترى الهدايا ومــا يعرضة علينا التجار العدنيون من بضائع .: وكان بعضنا يســتعين بجــندى يحمــل له أمواله ، لنقلها وكنا نسميه حامل الريالات .

وكــانت الخــزانة الرئيسية للحكومة اليمنية موجودة في القصر الجمهــورى بصــنعاء وتوارثــتها حكومة الثورة عن الحكومة الملكية .. وكان مخزن الريالات عبارة عن صالات ضخمة في الدور الأرضي من القصر - بها شكاير وعلب صفيح وصناديق خشــبية تحتوى علي المخزون النقدي لدولة اليمن ، وكنت أحد المحظوظيــن الذين تمتعوا بمشاهدة مخزون نقدي لدولة بكاملها لهــا مكــان عــلي خــريطة الكرة الأرضية - وكان حول هذه الصــالات حراســات قوية من الجنود اليمنيين المسلحين ولها شــبابيك حديديــة قوية ، حماية من اللصوص أو الطامعين في نهب ثروة هذه الدولة .

تمـــنيت أن أســـعد في يوم من الأيام بأن أشاهد بعينى المخزون المـــالي الكامل لأى دولة أخرى ، فأنا الآن مدرب علي مشاهدة المخـــزون المـــالي لـــلدول .. وسرح خيالي في أن أشاهد مثلاً مخزون أمريكا من النقد .. وهل هو أيضاً في مثل هذه الصالات الحجرية المحصنة بشبابيك حديدية .

***

نضوب العملة في اليمن

بعـــد خمســـة أشهر من بداية حرب اليمن ، توقف صرف بدل السـفر لـنا بالريال اليمني الفضي ، وعرفنا أن عملة اليمن قد نضـبت ، وأنه لا يوجد ريالات لا في خزانة الجيش المصري ولا حتي في خزانة الحكومة اليمنية ، والسبب في ذلك أن قيمة هذا الريال اليمني من معدن الفضة الخالصة ، أكثر مرات عديدة مـن قيمـتة السوقية .. ولذلك فقد قام التجار العدنيون الأذكياء وخـلفهم الـتجار البريطانيون بسحب عملة اليمن من الريالات الفضة بسرعة ودهاء شديدين ، فكانت البضائع تأتي من أوروبا وخاصـة مـن إنجلترا إلي التجار العدنيين في ميناء عدن ، ثم ينقـلونها فوراً إلي أرض اليمن .. يعرضونها في دكاكين سوق المـلح . الـذي هو المركز التجارى الرئيسي في مدينة صنعاء العاصمة ، ونظراً لحداثة هذه البضائع المتطورة والتي إختيرت بذكـاء تجـاري بـارع ، فإنها كانت تباع فوراً ويجمع التجار العدنيـون حصيلة بيعها بالريالات الفضية . يرسلونها إلي عدن

ومـــنها إلـــي إنجلترا .. وتستمر هذه الدورة التجارية في إتجاه واحـــد هدفـــه الرئيسي الإمتصاص السريع لعملة اليمن الفضية الثمينة .

وكـــان ســـوق الملح المذكور هو المكان الذي نعتبره الترفيـــه الوحيد لنا كمصريين سواء كنا ضباط أو جنود ، نذهب إليه في أوقات فراغنا من العمل ، ونجد فيه ما لذ وطاب من مشتريات شهية جداً لنا كشـــباب ، فها هي أحدث ما وصل إليه التقدم من ســـاعات رجـــالي أو حريمي ماركات عالمية مثل الرولكس أو الجوفيـــال .. ثمنها لا يتجاوز بدل السفر الذي نتقاضاه في ثلاثة أيـــام .. وهـــا هـــي الكاميرات الإنجليزية الصنع ماركة زايس المشهورة ، وها هي أحـــدث أجهزة للتسجـــيل عرفها العالم .. والـــنظارات الشمســـية ماركة بيرسول ، وكان الجنود يسمونها باراســـول .. أما أقمشة الملابس فكان الجنود يفرحون بها جداً وخاصـــة القـــادمين مـــن قري الدلتا والصعـــيد فهي أقمشـــة حريمى ملونة بألوان فاقعة جداً وتلمع لمعاناً شديداً وكانت تسمي الكريســـتال ، معـــني ذلك أن سوق المـــلح المذكور تحول إلي

بالوعـــة شرهة تبلع ما معنا سواء ضباط أو جنود من العملات الفضية الثمينة من الريالات اليمنية.

***

ولما كان الجنود والضباط المصريين قد مر عليهم شهور كثيرة عـــلي أرض اليمن ، بدون أى أجازات ، أو روابط بوطنهم الأم مصر ، لا يعرفون شيئاً عن أهلهم وأقاربهم وزوجاتهم وأبنائهم، ولـــتعويض ذلـــك الحرمان النفسى والعاطفي والقلق علي الأهل والأبـــناء ، فان كل واحد منا كان يضع بجوار سريره أو فرشة نومـــه عـــلي الأرض - شيكارة أو صندوقاً ملئ بالهدايا السابق ذكـــرها يتأملها بين الحين والحين ، ويتخيل لحظات سعيدة ، لا يعـــرف هل سيعيشها أو لا يعيشها - يتخيل فرحة أفراد أسرته عـــندما يقـــدم لهـــم مثل هذه الهدايا .. بين قبلاتهم وعناقهم .. ودموع الفرحة في عيونهم إذا فرض أن عاد إليهم سالماً يراهم ويرونه بعيونهم ، وإذا إستشهد أحدنا وأرسل جثمانه في صندوق إلـــي مصـــر .. كـــانوا يأخذون مع الصندوق وبصحبته ـ تلك الشيكارة أو الصندوق الملئ بالهدايا - يسلمونه إلي أهله وذويه ، وكـــان هذا يزيد من آلام أسرة الشهيد ، يعرفون ويتأكدون أنهم

كـــانوا في قلبه وفكره وأنه لم ينساهم وهو يحارب ببسالة علي أرض اليمن .

***

ولمـــا نضبت عملة اليمن من الفضة الخالصة ، وأذكر هنا أنني احتفظت ببعضها للذكري ومرة عرضتها منذ سنوات قليلة علي أحد تجار العملة الأثرية بالقاهرة .. سمعت رقماً كبيراً من مئات الجـــنيهات يعرضـــها علي حتي يشتريها .. وبعد نضوب عملة اليمـــن كما ذكرت .. قامت الحكومة المصرية فوراً بالتصرف السريع لحل هذه المشكلة الخطيرة وبدأت مطابع وزارة الخزانة المصـــرية في القاهرة في طبع العملات الورقية ذات الخطوط المائيـــة السرية .. بألوان وأشكال جميلة ، وبدأت بارسالها إلي أرض اليمن . تدعيماً ومساندة للإقتصاد اليمني الذي بدأت في الإنهيار ، ولما كانت هذه العملات الورقية الجديدة المطبوعة في مصـــر لصالح حكومة اليمن يلزم لها الغطاء ـ حتي يكون لها القيمـــة الســـوقية ، فقـــد قررت حكومة مصر التعهد بتغطيتها بإحتياطياتها من الذهب ، ولما كان هذا الذهب غير كاف لحماية العملة المصرية .. وما إضيف إليه من عملة دولة أخرى وهي اليمـــن فقد صدرت التعليمات .. أن تقوم الأجهزة المالية .. في

هيـــئة قـــناة الســـويس ، بقبول عملة اليمن الورقية الجديدة عند تحصـــيل رسوم عبور القناة ، مثلها مثل أى عملة صعبة سواء الجـــنية الاسترليني أو الدولار .. وكانت هذه القرارات إجبارية بالـــرغم مـــن عبطها وهبلها ، وحرمت مصر من أهم مواردها الإقتصــــادية ، وهو دخل قناة السويس ، التي كنا نتباهي باننا قد أممناها وأنها أصبحت ملكاً خالصاً للشعب المصري المكافح .. وأن دخـــلها وحصـــيلة مواردهـــا ستساهم في مزيد من الرخاء والتـــنمية للشعب المصري ، ولكن الشقيقة الكبري والأم الحنون مصر يجب أن تضحي في سبيل أشقائها اليمنيين ، فلا مانع أن يجـــوع شعب مصر ، وتتغذي البطون اليمنية ،، أليست مبادئ الأمومـــة الـــتي نشاهدها في حياتنا العادية ، صورة جميلة للأم التي ترضع طفلها تعطية ثديها يمتص منه عصارة غذائه وهي سعيدة فرحة تؤدي واجبها الإنساني .

***

وزير يمني خارج الخيمة

وكـــانت زيـــارات رئيــس جمهورية اليمن العقيد السلال كثيرة ومـــتكررة لـــنا في موقع العمل في مطار صنعاء كما سبق أن ذكــرت . وكما قلت كنا نشعر بالملل من تعليماته وإستعجالاته لنا، فهو ليس قائداً علينا وفي نفس الوقت لا يفهم طبيعة عملنا ، وحديـــثه كان يسبب لنا الضيق ، ولكننا كعسكريين ، كنا نعطيه إحـــترامه الكـــامل ظاهرياً ، ومشكلة المشاكل كانت كيف نخفي ابتســـاماتنا كـــلما تأملـــنا فـــي الزى العسكرى الذي يرتدية هو وزمـــلاؤه، فقـــد كـــانت ملابسهم العسكرية ؟ أحضرت لهم من مصـــر .. وكان يرتدي بدلة الضباط وهي غير مضبوطة علي جســـمه لأنه قصير القامة له جسم سمين ممتلئ ، وكان يرتدي فوق رأسه الفاروقية وليس الكاب والفاروقية الزرقاء هي غطاء الرأس للقوات الجوية بينما البدلة التي يرتديها بلون كاكي وهي الزي الرسمي للقوات البرية والمشاة ، وكان الرجال الذين معه مـــن القادة العسكريين وأعضاء مجلس قيادة ثورة اليمن يرتدي

كل منهم زياً خاصاً ـ ويضع علي أكتافه رتباً عسكرية ، حصل عليها بقدر المستطاع من الجيش المصري .

وذات يوم ، وأثناء مناقشة سيادة العقيد السلال معنا ـ قلت له أن هـناك نقصـاً في الخامات ومواد البناء اللازمة للعمل .. تأخر وصولها من مصر . مثل الأخشاب وشكائر الأسمنت والجير ، وفـوراً أصـدر رئيس جمهورية اليمن قراراً أن يرسل إلي في اليـوم الـتالي كل ما تحتوية مخازن وزارة الأشغال اليمنية من مـواد .. لأن المجهـود الحـربي له الأسـبقية الأولي قبل الأعمال المدنية ، وقد نفذ الرجل وعده، ففي اليوم التالي ونحن فـي خيمتـنا فـي مطار صنعاء ، دخل إلينا جندي المراسلة ، يخبرنا أن هناك أثنين من اليمنيين يريدان مقابلتنا ، ونظرت من فـتحة الخيمة ، وشاهدت لورياً محملاً ببعض العروق الخشبية وحوالـي الـثلاثين شـيكارة من الأسمنت والجير وشاهدت رجـلين يجلسان علي الأرض بجوار اللوري وكل منهما يمسك حـزمة من القات الأخضر ، يمضغها في فمه ، ولما دخلا إلينا عرفـنا أن أحدهمـا هـو وزير الأشغال اليمني ، ومعه وكيل وزارته ـ جاء ليسلمنا بنفسه كل ما تحتويه مخازن الوزارة من

مواد بناء تنفيذاً لأمر رئيس الجمهورية اليمنية بتقديم كل العون للقوات المصرية الباسلة .

وأثناء إستقبالنا لسيادة الوزير اليمني تطرق الحديث ، وشرح لنا أنـــه يفكر في مشروع هام ومفيد للثورة اليمنية يتمني أن ينتهي منه ويفتتحه في العيد الأول لثورة اليمن أى بعد مرور عام كامل عـــلي نجاحهـــا .. وهـــذا المشروع الإنشائي الخطير هو إنشاء منصـــة كـــبيرة لإستعراض الجيش مثل المنصة التي سمع عن وجودها في مدينة نصر بالقاهرة والتي تقام فيها الإستعراضات العسكرية ، في مناسبة ثورة يوليو سنة ١٩٥٢.

***

المشير عبد الحكيم عامر

كـــان المشـــير عـــبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة المصرية ووزير الحربية ، ونائب رئيس الوزراء ونائب رئيس مجـــلس قيـــادة الـــثورة ...وهو الرجل الثاني في مصر ، فهو الشريك الأول للرئيس جمال عبد الناصر ، وأيضاً صديق عمره وأحـــب الـــناس إليه ، وكان المشير عامر مشهوراً بطيبة القلب وبأنـــه إنسان بجميع المقاييس ، فهو باللهجة المصرية جدع جداً وراجـــل فـــي جميـــع تصـــرفاته له قلب كبير ونفسية عاطفية ومصـــرية أصـــيلة ، وكـــان حبه الشديد لضباط وجنود القوات المســـلحة ليس فقط نظرياً بل عملياً جداً . فكان لا يرفض طلباً لضابط أو جندي مهما كان هذا الطلب صعباً أو إستثنائياً . ليس فقـــط للضابط أو الجندي . بل أيضاً لكل أفراد أسرته ، وأقاربه وقـــد أنشـــأ إدارة خاصة بقيادة القوات المسلحة ـ لتلقي طلبات أبـــنائه من الضباط والجنود ، ويتابع بنفسة مدى الإستجابة لهذه الطلـــبات ، وكـــانت الطلـــبات المذكورة تستلزم إستثناءات من

الوزارات المدنية الأخري ، وكان جميع وزراء الحكومة ينفذون تلك الطلبات بمجرد إرسالها إليهم . من الإدارة المذكورة ، فتنقل الـزوجات إلي أماكن العمل التي يختاروها أو بعضها-وتركب خطـوط التليـفون فوراً بدون إنتظار للدور التي كان الأخرون ينتظرونها حتي يأتي دورهم بعد خمسة عشـرعاماً علي الأقل ، والويـل كل الويل لصاحب المنزل الذي يحدث بينه خلاف مع أحـد سكانه من العسكرين ، فالشرطة العسكرية جهاز مختص للـتأديب والتهذيب ، أما في الخلافات المدنية التي تستلزم رفع القضـايا أمام المحاكم ، فالعسكريون لهم نظام خاص ، لا يقوم محضـروا المحاكم بإعلامهم .. بل ترسل إليهم الدعاوى عـن طـريق القضاء العسكري ، والذي يقوم بحماية المشكو في حقه مـن العسـكريين ، وكنا نحن العسكريون من الضباط والجنود نشـعـر أنـنا طـبقة أعـلي من جميع المواطنين .. لنا جميع الإمـتيازات والإسـتثناءات ، وأعـترف أننا كنا نتمـادي في التصرفات غير المسئولة .. وأذكر أنني ومجموعة من زملائي الضـباط ذهبنا للحصول علي مرتباتنا من أحد بنوك حي مصر الجديـدة وبعـد أن أغلق البنك أبوابه بنصف ساعة وكان الباب مغلقاً وطرقنا علية بشدة ففتحوا لنا ، وطلبنا صرف مرتباتنا ..

بأسلوب الأمر والنهي ، ولكن الموظفين رفضوا ذلك فقد إنتهت مواعيد العمل .. بل تجرأ أحدهم وأصر علي الرفض رافعاً صوته قائلاً أن تصرفنا يعتبر فوضى .. ودفع هذا الموظف المتهور الثمن غالياً ، فقد جاء إلينا مدير البنك يعتذر نيابة عنه ووقع عليه جزاءاً فورياً .. وأخذنا إلي مكتبه وصرف لنا مرتباتنا قبل أن ننتهي من شرب أكواب الشاى التي قدمها إلينا .

***

أصدر المشير عبد الحكيم عامر أمراً إلي جميع النوادي المدنية في مصر كلها أن تقدم عضوية مجانية لكل ضابط يطلبها .. وكان في جيبي كرنيهات عضوية لحوالي سبعة نوادي في القاهرة أذكر منها نادي الجزيرة ونادي الصيد .. ونادي السيارات ونادي هليوبوليس ، ونادي هليو ليدو ونادي القاهرة والنادي الأهلي . وكان الضباط يتمتعون بمزيد من الرفاهية ، وحتي لو كانت هذه الرفاهية من المحرمات فجميع نوادي الضباط تقدم خموراً وبأسعار زهيدة ، فزجاجة البيرة المثلجة ثمنها أربعة قروش ، أما كأس الوسيكي فكانت تسعيرته الثابتة ثمانية قروش .. وانتشرت بعض المخدرات بين الضباط في

تجمعاتهم الخاصة ، وكان النوع الأساسي هو الحشيش وذلك لأن المعـــروف أن القيـــادات العسكرية تتبارى في تدخين الحشيش بأنواعـــه المختـــلفة الفاخرة التي كانت تأتي من العريش ومدينة غزة الفلسطينية الخاضعة للسلطة المصرية .

* * *

وكـــانت مصـــر قد شملتها القوانين التي صدرت سنة ١٩٦١ـ الخاصـــة بالقضـــاء عـــلي الاقطاع – وتأميم جميع الشركات والمؤسســـات والمصانع – التي يملكها القطاع الخاص المستغل الجشـــع واخـــتفت تمامـــاً كـــل مظاهر الإستغلال الإستثماري الإقطـــاعي .. بـــل أنشـــئت محـــاكم الثورة تحاكم الإقطاعيين والإســـتغلاليين وكبار الأغنياء، الذين قضوا أعمارهم يمتصون دمـــاء الشـــعب الكـــادح ، ويحرقون أجساد الفقراء والمحتاجين والعمال والفلاحين والمستضعفين .. حتي تنتفخ جيوب وبطون هؤلاء الأغنياء .. وكان الشعب بجميع طوائفه يهلل فرحاً سعيداً .. بالطريق الجديد التقدمي السريع نحو الإشتراكية ، والسيطرة الكامـــلة للشـــعب عـــلي جميـــع وسائل الإنتاج ، وكان الإتحاد الســـوفيتي ـ بأجهزته ومندوبيه وخبرائه الشيوعيين هو المحرك

الرئيسي لتيار الإشتراكية سواء من فوق السطح أو من تحته .. طمعاً في وصول مصر إلي بر الإشتراكية السعيدة الكاملة وهي الشيوعية.

وكانت الشركات المؤممة والمصانع والتجمعات التجارية وغيرها تتحول إلي السيطرة الكاملة للدولة ، وكان المسؤول الأول عن تنفيذ القرارات الإشتراكية هو المشير عبد الحكيم عامر الذي أنشأ جهازاً عسكرياً خاصاً بذلك ، وكان هذا الجهاز كله من العسكريين ولما قاموا بطرد جميع أجهزة الإدارة السابقة قاموا بتعيين أجهزة جديدة كلها من العسكريين يتولون إدارة الجهاز الإقتصادي الكامل لمصر - ويوجهونه بكل الحسم والقوة نحو الإشتراكية ومبادئها الجديدة .. ولذلك فقد كان معظم الضباط يعرفون أنهم بعد تركهم القوات المسلحة فعلي كل منهم إختيار الشركة التي يريد أن يتولي رئاستها أو إدارتها .

***

عبد الحكيم عامر وحرب اليمن

المشير عبد الحكيم عامر الرجل الثاني في مصر ، والذي يتمتع بحب جارف منقطع النظير من جميع وأقول جميع ضباط وجنود القوات المسلحة ، وكان يمتاز بأنه يحكم قبضة القرار في القوات المسلحة تماماً فأتباعه ومؤيدوه يملكون بقوة زمام جميع الأسلحة.

وقد تحمل المشير عامر منذ قيام الثورة سنة ١٩٥٢ .. الكثير والكثير ، فهو اليد المنفذة علي أرض الواقع لقرارات رئيس الجمهورية الرئيس عبد الناصر ، ولا تنسي مصر عندما تحالفت القوى الإستعمارية بقيادة إنجلترا وفرنسا وتابعتهم دولة إسرئيل، وقاموا بالعدوان الثلاثي علي حدود مصر الشرقية واستولوا علي الأراضي والمدن سنة ١٩٥٦ ، لتأديب الحكومة المصرية ، وإذلال شعبها وإجبارهم علي تغيير مسار التقدم والحرية ونبذ فكر الدعوة إلي القومية والوحدة العربية ، وكان المشير هو

المسئول عن الحماية العسكرية والدفاع عن مصر ، وأنه في الوقت المناسب ، أصدر قرارته التاريخية بإنسحاب الجيش المصري إلي الدلتا ، وبهذا القرار إحتفظ بسلاح مصر ، وحمي الجنود والضباط من عملية إفنائهم أو أسرهم بالجملة .. وأثبت التاريخ أن قراره كان حكيماً ناجحاً بالرغم من مظهره . أنه إنسحاب إلي الخطوط الخلفية .

***

وكان دور المشير عامر هاماً جداً وأساسياً سنة ١٩٥٨ عندما أعلنت الوحدة الشاملة بين مصر وسوريا .. وأصبحتا سياسياً واقتصادياً وعسكرياً دولة واحدة بإسم الجمهورية العربية المتحدة – لها أقليمين – أقليم شمالي هو سوريا سابقاً وأقليم جنوبي وهو مصر سابقاً ، وحدث إندماج سريع وشبه كامل بين الشعبين السورى والمصري ، وكان العصب الرئيسي التنفيذي القوى لهذا الإندماج – هو القوات المسلحة ، فأصبحت القيادات العسكرية واحدة ، وأصبح الضباط ينقلون بين سوريا ومصر كأنما ينتقلون بين القاهرة والإسكندرية ، وأذكر سنة ١٩٦١ ونحن طلبة في الكلية الحربية ، وكان ضباط الكلية بعضهم من

المصـــريين والبعض الآخر من السوريين ، بل الطلبة أيضاً من السـوريين أو المصـــريين وكذلك ضباط الصف، ولكننا طوال دراسســتنا فـــي الكلية الحربية ، وتعاملاتنا كمصريين ، كانت قلوبــنا صافية وأفقنا متســع ، ونظرتنا متفائلة بمستقبل مشرق للمــنطقة العربية كلها ، بوحدتها الكاملة ، وكنا نتوقع أن تتجة إلـــي هــذه الوحـــدة باقي الدول العربية – لتحقيق الأمل العظيم والمشـــرق بدولة عربية واحدة من المحيط إلي الخليج ، تظهر قويـــة فاعـــلة فـــي عالم كان وقتها متفككاً متصارعاً بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبعد المؤامرة الإستعمارية التي نجحت فـــي زرع الكيـــان الصهيوني علي أرض فلسطين ـ كيان شاذ وغـــريب ، لا هــدف من ورائه إلا تحقيق الرجعية والتخلف ، وتحطيم الأمال العربية المخلصة ، وأنا أسجل هنا أنه لن يعمر طويلاً .

وأثـــناء دراســتنا فـــي الكـــلية الحربية كنا نلاحظ أن زملاءنا السـوريين لهم لقاءات خاصة يتبادلون فيها الهمس بصوت غير مسموع ، وأنهم ليسوا مفتوحي القلب مثلنا ، وأنهم ربما يتلقون تعـــليمات أو أوامر من جهات سورية أخرى ، لا يظهرونها ولا

نحن نعرفها ولما كان العمل الحزبي ممنوعاً بالنسبة للعسكريين المصـــريين، وبالـــتالي المفروض أن يكون ذلك أيضاً بالنسبة للســـوريين ، ولكننا كنا نسمع همساتهم ، التي تدل علي أنهم إما أتباع أو خاضعين لتعليمات حزب يسمي بحزب البعث .

وقـــبل تخرجـــنا من الكلية الحربية في النصف الثاني من سنة ١٩٦١ ، حدثـــت مؤامرة الإنفصال التي قادها سراً وأعلنها بعد ذلـــك حزب البعث السورى ، وانفصلت سوريا عن مصر وبين عشـــية وضحاها ، تحول الضباط و الطلبة السوريون في الكلية الحـــربية فـــي تنظيم واحـــد مرتب له بذكاء وتدقيق ، وحدثت الإعتصـــامات والإحـــتكاكات والمظاهرات العنيفة داخل الكلية الحـــربية ، وعـــلي الجانب السوري تم إعتقال وسجن الضباط المصـــريين الموجوديـــن في سوريا وعلي رأسهم المشير عبد الحكيم عامر ، والتاريخ يذكر الإهانات القاسية وخلافه .. التي تعرضـــوا لها في سوريا ، حتي فك الإشتباك سلمياً وذهبت كل دولة إلي حال سبيلها .. سياسياً واقتصادياً وعسكرياً .

***

وكـــان العبء العسكري الثالث علي أكتاف المشير عبد الحكيم عامر ، هو العملية العسكرية ٩٠٠٠ وهي حرب اليمن التي كان يـــتابعها بنفسه ، وتكررت أسفاره بين القاهرة وصنعاء ، يتابع بنفسه المعارك العسكرية، بتفاصيلها ، ولما اتسع نطاق الحرب علي أرض اليمن ، وإزدادت وتكررت زيارات المشير متحملاً أعـــباء الســفر المســتمر ، واختلطت إهتماماته ، بين وجوب تواجـــده بالقاهــرة لــتدبير أمور الحرب من القاعدة الرئيسية بالقاهرة ، وفي نفس الوقت أصبحت من لوازم مسئولياته التواجد المســـتمر والمباشــــر فـــي أرض المعارك ، أصدر قراراً بإرســـال أهـــم شخصيتين في هيئة مكتبه بالقيادة العامة للقوات المســلحة وهما العميد مهندس طيار أحمد نوح .. والعقيد مشاة أركان حرب محمد أيوب ، تركا منصبهما في القاهرة وحضرا إلـــي أرض اليمـــن لا يغادراهـــا ، ويعملان ليل نهار يتابعان المعارك العسكرية سواء البرية أو الجوية .. كحلقة إتصال دائم بين أرض المعركة والمشير عبد الحكيم عامر شخصياً .

وأذكـــر هنا حضورى لبعض لقاءات المشير عبد الحكيم عامر معـــنا كضـــابط وقد حضرت لقاءين منهما .. وكان يستمع إلي

مطالبـــنا كضباط صغار فيما يخص أداءنا في عملنا العسكري ، وكان بشوشاً صبوراً يستمع ويقوم من حوله بتسجيل المقترحات والمطالب ، وما نقص من معدات أو مواد أو سلاح أو ذخيرة ، وكـــان يـــرحب مبتســـماً بكل ما نقول ، ولا يظهر أى تبرم أو إحتقار حتي إذا كانت المطالب تافهة أو غير منطقية .

***

وكـــان دائماً يسألنا في نهاية مناقشاته العسكرية معنا ، هل لأى مـــنكم أى مطالب خاصة . وكان يعبر لنا عن أسفه وتألمة لعدم وجود كلمة أجازات التي كنا نسيناها وأعتبرنا أنها كلمة شطبت من اللغة العربية ، وكان يقول لنا أنا أعرف أن الشهور الكثيرة التي مضت عليكم يا أبنائي بعيداً عن رؤية أهلكم أو حتي سماع أخـــبار عـــنهم ، مؤلمة جداً وأنه شخصياً متألم ومتأثر بسببها ، فهو أب لنا جميعاً ويطلب من كل منا أن نكلفه كأب بتحقيق أى مطـــالب لأهالينا مهما كانت صعوبتها ـ يقوم معاونوه بتسجيل تلك الطلبات التي كانت تنفذ فوراً عند رجوعهم إلي القاهرة .

***

وأذكرسـؤالاً صريحاً لأحد الزملاء الضباط يسأل المشير - هــل نحن في أرض اليمن نحارب في سبيل الله والوطن .. وما هــو مصيرنا عند إستشهادنا والآية القرآنية الكريمة تقول " ولا تحسـبن الذيــن قتــلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحيـــاء عــند ربهم يرزقون " ، ولم يتبرم المشير عامر أو يغضب من السؤال ، ولكــن عــند رجوعــه إلـــي القاهــرة أصدر قراراً بإرسال مجموعات من رجال الدين .. يتحركون مع القوات علي أرض المعارك .. للتوعية الدينية ، ورفع الروح المعنوية والقتالية .

***

أمطار من الذهب .. الذهب .. الذهب

اتســعت المعــارك العســكرية سواء برية أو جوية علي أرض اليمــن، ومرت سبعة أشهر والنصر الشامل لم يتحقق والمعارك لــم تحســم ، والقوات الفوضوية العصابية تزداد عدداً ويصلها عتاد مستمر من جميع القوى الخارجية الكارهة لمصر ولسياسة مصــر ، وتحولــت أرض اليمــن إلــي مصيدة شرسة للقوات المصــرية ، وللإقتصــاد المصري وحتي للفكر السياسي للقيادة المصــرية .. ، وبدأ الطوق يضيق تباعاً وبدأت تباشير التهليل والفــرح تنتشــر بين كل أعداء مصر وكانوا كثيرين ، فالدول الغــربية الإستعمارية تهلل مبتهجة وعلي رأسها بريطانيا التي كــانت المســتعمرة السابقة لمصر وكانت الدولة المهزومة في حرب العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ .. وكان يتبعها فكراً وتأييداً فرنســا وأمــريكا .. فكل دول الغرب ، كانت تسعي لمزيد من الإســتنزاف المــالي والعسكري والإقتصادي والسياسي البطئ والميؤثــر تأديبا لشعب مصر الذي تهجم وشتم وهاجم مصالحهم

الإســتعمارية فـــي دول العالم الثالث المغلوب علي أمره ، بل ينـــتقمـــون للإهانات المستمرة التي نالت من رؤساء دولهم في الخطـــب المستمرة لرئيس جمهورية مصر الرئيس عبد الناصر الـــتي كـــان يســـوقها بتلقائية وعفوية نابعة من قلبه وإخلاصه ووطنيـــته .. وكـــان الشعب المستمع والمترقب لخطبه ـ يفرح ويهـــلل ، وكـــنا نفرح ونسعد بمزيد من الإهانات لهذه الشعوب الإســـتعمارية ورؤسائها ، وأذكر تصفيقي الحاد وزملاء لي عند قـــول الرئيس جمال عبد الناصر يا أمريكا إشربي من البحر ، وإذا مـــا كفـــاكيش الـــبحر الأبيض المتوسط إشربي من البحر الأحمر .

وكـــان يشـــارك الدول الغربية الإستعمارية في مؤامراتها علي مصر الدول العربية الرجعية التي كانت تحكمها أنظمة ملكية أو أنظمـــة رئاســـية مـــتعاونة مع الإستعمار وأذنابه ، وكنا جميعاً نترقب أثناء خطب عبد الناصر ، الفقرات اللذيذة المفرحة عندما يـــبدأ فـــي كيل الشتائم المصرية من قاع المجتمع وقاع اللهجة المصـــرية العاميـــة يكيلها لهذه الدول وحكامهم الرجعيين - كنا نفـــرح ونهلل ، ونهتف بحماس مخلص وطني عربي ، وخاصة عندما يدعو إلي نتف شعر ذقن الملك فيصل ملك السعودية .

ولمـــا بـــدأ تأثير المؤامرات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، يـــتحول إلـــي إستنزاف حقيقي لجيشنا في اليمن .. والحرب لا تنتهي ، صدرت الأوامر والتعليمات لتدعيم هذه الحرب بأساليب جديـــدة ومســـتحدثة ، وكانت تلك القرارات التي تصورها من أصدرها أنها قرارات في منتهي الذكاء والدهاء ، وأثبت أرض الواقع أنها في منتهي البلاهة والعبط والغباء – لقد قرروا رشوة شعب اليمن ، في مواقع تجمعاته والقري والمدن السكنية ، بأن تقـــوم طائرات القوات الجوية المصرية ، بإلقاء شكائر مملوءة بـــالذهب . ســـواء القطـــع من الجنيهات الواحدة أو القطع ذات الخمسة جنيهات الذهبية وأثناء عملنا في المطارات كانت قلوبنا تتقطع مع كل حمولة لإحدي الطائرات لملء مخزنها في بطنها بشـــكائر الذهـــب من الخيش .. تتوجه كل طائرة في ما يسمى طلعات الذهب – إلي أماكن تجمع اليمنيين ، لتسقط عليهم أمطاراً مـــن الذهب الأصفر الخالص ـ وتعود فارغة لمزيد من التحميل الغـــبي الذهبي والخزانة المصرية الغنية جداً تتحمل بسعادة هذا الـــنزيف من إحتياطياتها من الذهب وهذا أمر طبيعي – فمصر دولة غنية جداً جداً جداً ـ وثرواتها من الذهب وفيرة .. وكثيفة كوفرة مياه نهر النيل العظيم .

وسيذكر التاريخ أنه لم يحدث قديماً أو حديثاً أو حتي مستقبلاً في أى دولـــة من دول العالم أن تقوم طائرات نقل عسكرية ، تحمل في بطنها كميات من الذهب قيمتها أكثر من ثمن الطائرة نفسها .. تـــلقي كالمطر فوق شعب من الشعوب وكانت أمطار الذهب علي القبائل اليمنية سبباً لزيادة مقاومتهم العسكرية الفوضوية ، فبعضـــــهم إعتـــبرها نوع من الرشوة تقدمه لهم قوات يائسة من النصـــر علي أرض المعارك ، وبعضهم إعتبرها فرصة ذهبية لمـــزيد مـــن الإستقطاع .. والإبتزاز والإستمتاع بمنظر أمطار تســقط عليهم ببلورات صفراء جميلة ومبهرة ولامعه في ضوء الشـــمس يتلقفونها بين التهليل والتكبير ، وكان بعض المتفلسفين المصـــريين يبررون هذه الأمطار الذهبية بأنها زكاة مال تقدمها الشـــقيقة الغـــنية الكـــبري مصـــر ، تقدمها لأخوتها ، الفقراء المحتاجين فهي حلال . حلال . حلال بل وواجب ملزم للشعب المصري العريق العظيم يقدم الحب أمام الكراهية ، والكرم أمام القسوة والعدوان المحرم دولياً بإستعمال الرصاص دمدم .

***

لم يتأخر الإعلام المصري في مساندة المعارك العسكرية ، علي أرض اليمـــن ، بكـــل الطاقات والإمكانيات . سواء في الجرائد اليومية أو المجلات ـ وكان لإذاعة صوت العرب نصيب الأسد فـــي هذه المساندة الإعلامية، وهي إذاعة ، قوية جداً ومسموعة وتـــرحب بهـــا كـــل الشعوب العربية من المحيط إلي الخليج ، وكانت هذه الإذاعة قوية لدرجة أننا كنا نسمعها بوضوح بأجهزة الـــراديو الترانزســـتور من أرض المعارك في اليمن التي تبعد آلاف الكيـــلو مـــترات ، وكان من برامجها التي تهمنا برنامج رســـائل إلـــي المقاتلين في اليمن فهي رسائل صوتية من أهلنا وزوجاتـــنا وأبنائنا الذين فارقناهم منذ شهور طويلة ، لا نعرف عـــنهم شـــيئاً ـ رسائل عبر هذه الإذاعة يطمئنونا عن أحوالهم بصفة عامة في كلمتين فقط "نحن بخير" .. وبالرغم من خشونة طباعـــنـــا العســـكرية ، فكـــــان كل منا يخفي في خجل شديد

دموعـــه التي تسيل التي تسيل رغماً عنه إذا سمع صوت أولاده أو أقاربه وخاصة الوالدين .

***

وكان البرنامج الآخر الذي كنا نترقبه يومياً ليزيد الحافز القتالي لـــنا وهـــو الـــبرنامج المشهور أكاذيب تكشفها الحقائق ، وكان بـــرنامجاً قوياً جداً يتولاه اثنان من كبار المذيعيين أحدهم إسمه أحمـــد سعيد ، والآخر إسمه محمد عروق وكان هذا البرنامج ، يظهر بكل وضوح أن مصر مازالت قوية وقادرة علي مزيد من النصـــر والنجاح والإنتصار ، وكان البرنامج يحتقر ويستهزئ بكـــل ســـخرية وتحقيـــر لكل القوي المعادية للمسيرة المصرية السياسية والإقتصادية والعسكرية وكان أسلوب البرنامج يتمشي مـــع كل المستويات الفكرية والثقافية، بلهجة عامية أحياناً ولغة عـــربية ســـهلة .. وكانت الشتائم القاسية وأحياناً القذرة السوقية تقـــال بكـــرم شـــديد لكـــل أعداء مصر من الدول الإستعمارية ورؤسائها أو الدول العربية الرجعية الملكية أو الرئاسية العميلة للإستعمـــار. و كان ملك السعـــودية المـــلك فيصل علي رأس هـــؤلاء الأعـــداء وكذلـــك الملك حسين ملك الأردن وأذكر كم

ضـــحكنا وهللـــنـــا عندمـــا قال المـــذيع محمد عـــروق – يرد علي الإعلام الأردني قائلاً :

" تقول إذاعة الأردن إذاعة الملك حسين أن هناك كلبا يعوى في إذاعة صوت العرب "

ويرد عليه المذيع أحمد سعيد بصوته الجهوري القوي .

***

بصراحة محمد حسنين هيكل

صـــباح كـــل يوم جمعة وبلهفة وشوق شديدين ، نقرأ الصفحة الأولي والثالثة من جريدة الأهرام ، إنه المقال الأسبوعي الشهير والخطيـــر ، بقـــلم الكاتب الصحفي ، الذي كنا نعتبرة في ذلك الوقـــت لامعـــاً ومبهراً "محمد حسنين هيكل" ، وكان المحللون والمثقفون جميعاً لا يفوتهم حرف أو كلمة واحدة في هذا المقال يقرأونه ليس بتمعن وفحص شديد ، ولكن بتلذذ وإستمتاع يفوق الوصـــف ، وفـــي تصورى الشخصي إنه هو الكاتب الصحفي الأول فـــي النصف الثاني من القرن العشرين ، ليس فقط علي مستوي مصر ولكن علي مستوي كل الدول التي تنطق أو تتكلم باللغة العربية .

***

كانت براعة الرجل تبرز بالدرجة الأولي في مقدرته الإعجازية فـــي تطويع العبارات والجمل والمفاهيم ، وكل ما تحتوية اللغة العـــربية السهلة ، يجيد بذكاء شديد تحويلها وإستخدامها للتعبير

الـــلذيذ الشيق ، يقنعك ببساطة وشوق إلي كل ما يريد من أفكار ويسوقك بإرادتك ويوجهك إلي الطريق الذي رسمه أو يشاءه من عقيده أو فكر وكان من يكرهونه أو ينتقدونه ، لا يستطيع أحدهم أن يجاهـــر أو حـــتي يظهـــر . ما في أعماق فكره من نقد أو إعتراض ولا حتي بكلمة واحدة أو حتي بتلميح قريب أو بعيد ، لأســباب ثلاثة أولها ما كان يشاع عن صداقته وإرتباطة الوثيق بالـــرئيس جمال عبد الناصر ، معني ذلك أن أى محاولة للتهجم عـــلي محمـــد حسنين هيكل هي تهجم غير مباشر علي رئيس مصـــر ، والســـبب الـــثاني الشـــعبية الجارفة بين كل من يقرأ الصـــحف بل أقول كل من يقرأ باللغة العربية ، لمحمد حسنين هيكل ليس إعجاباً لما يعرض من أفكار ولكن إعجاباً وإستمتاعاً بأســـلوبه البلاغي العظيم ، وأذكر عن أقواله اللذيذة يحكي كيف تـــناول يوماً طعام الإفطار في موسكو بروسيا وطعام الغذاء في بـــاريس بفرنسا أما طعام العشاء فتناولة في نيويورك بأمريكا ، بل أذكر أيضاً أحد تعبيراته الذكية الخطيرة " أنا أعبر عن رأي عربي وليس عن الرأى العربي " وأذكر مقاله الشهير لما توفي الـــرئيس عـــبد الناصر وكان المقال بعنوان ٢٨ سبتمبر ، هذا المقـــال الذي أنا شخصياً قرأته ما لا يقل عن عشرة مرات وفي

كل مرة الدمع يتساقط بغزارة من العيون ، والسبب الثالث ، لقوة مقالاتـــه أنها كانت تحوي – الجديد من المعلومات السياسية التي لـــم يسبق نشرها والتمهيد لقرارات ستصدر قريباً ، وكانت قوة هـــذه المقالات هي القادرة علي حماية وتقنين فكر قيادة الثورة ورئيس الدولة الرئيس جمال عبد الناصر ، لذلك إعتبره البعض الشـــريك الأساســـي والمؤثر القوي في كل القرارات السياسية والإقتصـــادية والعسكرية للحكومة المصرية طوال حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، أى أنه أحد المسئولين فعلاً عن أى نجاحات وفـــي نفس الوقت عن أى سلبيات وإذا فكر أحدهم في محاسبته فســـيجده قطعاً وبوضوح مسئولاً عن الإيجابيات أما السلبيات ، فـــلن تجد لفظاً أو كلمة واحدة في كل ما كتب تستطيع محاسبته عليها .

فذكاؤه السياسي الصحفي اللغوي أقوى من أى إعتراض أو نقد قـــد يوجـــه إليه ، ومن ذكائه الجارف فإن مقالاته الأسبوعية لم تكن كلها تأييداً ومديحاً وموافقة علي كل ما يحدث ، بل كانت له مقـــالات شـــهيرة ، لهـــا عناوين صارخة تدل علي النقد وعدم الموافقـــة علي بعض ما يحدث ، يقرأها الناس بإشتياق ونهم ،

معجـــبين بالصراحة الشديدة ، والجرأة الخارقـــة عـــلي النقـــد والمصـــــارحة والإخلاص والرغبة في التصحيح .. وكانت هذه المقالات ثقباً ذكياً في البالونة الضخمة المملوءة بمشاعر السخط والـــنقد والتـــبرم ، تنفث من هذا الثقب كل المشاعر المضادة ، وتتحول هذه البالونات إلى بواقي تافهة من قطع البلاستيك عديمة القيمة ، وكانت هذه المقالات ذات العناوين الضخمةالمعبرة عن المعارضـــة وعدم الموافقة علي بعض ما يحدث ، تقرأها فتجد أنهـــا تشـــبة حجمـــاً ضـــخماً من رغاوى الصابون تنبهر من ضـــخامتها ولكن تمتد يدك إلي داخلها ، لاتجد شيئاً صلباً ، أو تجـــد مـــا تستطيع يدك أن تمسك به فتخرج يدك خاوية خالية ، تتناثر علي سطحها فقاعات الصابون .

وكان طبعاً وطبيعياً أن يشترك محمد حسنين هيكل بكل قوته في الإعـــلام والتبرير والتحليل للقرار السياسي والعسكري الخاص بإشتراك مصرفي حرب اليمن ، وكانت مقالاته ومقولاته قادرة عـــلي القضـــاء تمامـــاً علي كل فكر يتصور نفسه قادراً علي المعارضـــة ، أو همـــس يعبر عن الآلام والحسرة ـ والدموع لنزيف خطير في جسد مصر الطاهر الأصيل العظيم .

محكمة الثورة اليمنية

الــرئيس السـبلال رئيــس جمهورية اليمن ، والذي كان يؤمن بالــتجربة المصرية ، إيماناً غامراً فهو عديم الثقافة السياسية أو الــتاريخية ، يقلد ما يحدث في مصر تقليداً أعمي وبلا تفكير أو حتي دراسة أو حسابات ، وكان قد سمع أن مصر انشأت محاكم الــثورة لمحاكمــة الرجْعيين والرأسماليين الذين إستغلوا الشعب المصري لمصالحهم الذاتية يمتصون دماء المحتاجين لتتغذي بها كروشـــهم المنــتفخة ـ لذلك أصدر رئيس جمهورية اليمن أمرة الرئاســي بإنشــاء محكمــة الثورة اليمنية ، ونظراً لكثرة الذين ســيحاكمون أمامهــا ، فكانت هذه المحكمة تجتمع ثلاثة مرات أسبوعياً بعد صلاة العشاء .

وكـــان مـــن حظى أنا وبعض الزملاء ، أن إستمتعنا بحضور بعــض جلساتها فهي حدث تاريخي خطير وفي نفس الوقت هي

دراما كوميدية للأسف تحدث ليس علي خشبة مسرح ولكن علي أرض الواقع .

وكانت تلك المحكمة تعقد في صالة واسعة ، تسمي مجازاً قاعة المحكمـــة فـــي مبـــني متخلف ، مضحك المنظر، وكان القضاة الثلاثة يجلسون علي الأرض وأكرر علي الأرض في صدر هذه الصـــالة التي لا أستطيع أن أسميها القاعة ، ويجلس الحاضرون والمتفرجون إما علي الأرض أو يقفون متزاحمين علي جوانب الحوائـــط أو أمام باب هذه الصالة ، وكان المتهمون بالعشرات يســاقون تحــت حراسة الجنود واحداً واحداً أمام القضاة الثلاثة وفـــي دقـــائق معدودة قليلة نسمع كلاماً سريعاً متبادلاً ..لم نكن نفهمـــه ، ثـــم يصدر الحكم فوراً بالإعدام سحلاً أو بقطع الرقبة بالســـيف ، وكـــانت الأحكـــام المذكورة .. هي نوعين فقط من الأحكام ينطق بها بترتيب غريب فالمتهم رقم واحد تقطع رقبته والمـــتهم رقـــم أثنين يسحل ورقم ثلاثة تقطع رقبته ورقم أربعة يسحل .. فحظ المتهم في نوعية الحكم تعتمد أساساً علي ترتيبه ورقم تسجيله في كشوف المتهمين .

وكـــانت جميـــع الأحكام تنفذ صبيحة اليوم التالي مباشرة فهي أحكام نهائية لا إستئناف لها ، ولا يصدق عليها أحد فهي فورية ثوريـــة . واجبة النفاذ فوراً .. وأحكام قطع الرأس تحدثت عنها في فصل سابق ، أما أحكام السحل التي شاهدناها فهي ، عجيبة غريـــبة ، وخيالية ، فالمحكوم عليه بالسحل تربط قدمية بحبال قوية طرفها الآخر يثبت في حصان يبدأ الجري والتحرك داخل شـــوارع مديـــنة صـــنعاء العاصمة والمحكوم عليه ملقي علي الأرض يجره الحصان في الشوارع بين تهليل جمـــوع الناس ، فتسيل الدماء من جسده ومن دماغه .. الذي يتهشم ويتحطم ـ ثم يسلم روحه ، فيأخذون الجثمان الميت إلي مكان لا نعرفه .

***

تدهور إقتصاد مصر

كان شعب مصر ، يعيش علي ضفاف النيل بعيداً عن المعارك الضـــارية علي أرض اليمن لا يسمع إلا أناشيد وأغاني وأخبار الإنتصـــارات الوهمية ، أما العائلات المصرية التي تصل إليها أجســـاد الشهداء من الأطهار ، فكانت تنال من التكريم المعنوي والمـــادي ، مـــا يسكت ظاهرياً أنين الأباء والزوجات والأبناء والأقارب سواء طواعية أو قهراً ، الذي كانت تتفنن فيه أجهزة الإعلام أو أجهزة القوة والقهر البوليسية والإستخبارية ، والويل كـــل الويـــل لمن يتألم أو ينعت أو حتي يظهر دموع حسرة أو مشاعر ألم .

أمـــا بالنســـبة للقوات المسلحة ، فكانت هناك المبالغ المرضية توزع علي أسر المشاركين في هذه الحرب كجزء من بدل السفر الـــذي يســـتحقونه ، وكانت في نفس الوقت أجهزة قيادة القوات المســـلحة تلبي جميع مطالب أسر المقاتلين من المطالب الحياتية ســـواء الماديـــة أو المعـــنوية أو المدنية ، وجميع أجهزة الحكم

والـــوزارات المدنية ـ تتلقي الخطابات من قيادة القوات المسلحة تنفذ فوراً جميع مطالب أسرهم وذويهم .. فهم المقاتلون الشرفاء ، يقاتـــلون في ميدان القتال علي بعد آلاف من الكيلو مترات .. والويـــل كل الويل لكل موظف مدني يعطل أو يتباطأ، في تنفيذ مطـــالب أســـر المقاتـــلين ، فهو خائن وشريك في المؤامرات الإنهزامية الرجعية التي تعمل شريرة للقضاء علي مسيرة شعب مصـــر الـــتقدمية ، ومشـــجع للمؤامرة العالمية لتعويق الوحدة العـــربية ، وعـــدو لمـــبادئ القوميـــة العربية ، وحليف للقوي الإستعمارية الشريرة المتآمرة .

***

وبالـــرغم من القوة الساحقة المسيطرة للقمع وتوجية المشاعر ، نحـــو الـــتأييد المستمر لسياسات القيادة المصرية، المصرة علي المـــزيد من المعارك العسكرية علي أرض اليمن .. إلا أن هذه الوســـائل القمعيـــة والمعـــنوية لـــم تستطع بكل إمكانياتها علي السيطرة علي الإقتصاد المصري .

***

وإقتصاد الدول هو ملموس مادي ، لا يؤثر فيه شعارات كلامية أو أساليب قمع فكرية أو حتي بوليسية أو عسكرية .

- لقد بدأت خزائن الخير في مصر في النضوب ، وكان مخزون الموارد المصرية الذي كان غنياً قبل حرب اليمن ، لا تستطيع مجاراة المطالب المالية والمادية للمصروفات اللازمة لهذه الحرب الضخمة في الأرض البعيدة .

- ومخزون الذهب في البنك المركزي المصري أصبح مهزوزاً وأصبح الجنية المصري مكشوفاً فقلت قيمته السوقية ـ عالمياً وداخلياً ، وبدأ التضخم تزداد نسبته بصورة عالية في متتالية قيمتها مفزعة ، ورهيبة ، وتضخمت الأسعار السوقية لإحتياجات الناس ، أضعاف أضعاف ، فما كان من الحكومة إلا أن تساهم في التخفيف ، عن كاهل الشعب الكادح والحكومة لا تملك ما توزعه علي المحتاجين ، ولكنها تأخذ من جيوب بعض طوائف الشعب لتعويض جيوب المحتاجين ، فتصدر قرارات حكومية تخفض أسعار المساكن تخفيفاً علي الكادحَين ، ويدفع الثمن أصحاب العقارات الطاغين المستغلين ، فهم أعداء الشعب

لأنهـــم رأســـماليون مالكون ، وتصدر قرارات تخفيض وتحديد إيجـــارات الأراضـــي الـــزراعية ، لمزيد من خلق الأحقاد بين المزارعين والفلاحين وأصحاب الأراضي ، التي كانت ملكياتهم بـــنص قوانيـــن الإصلاح الزراعي ، لا تزيد عن خمسين فداناً للأسرة .. وكانت كل الأساليب والقرارات الإقتصادية غير كافية لمقاومـــة تيـــار الإنهيار الإقتصادي ، بل زادت من الأحقاد بين المواطنين ، فهذا كادح فقير مستأجر ، وعامل ومزارع يعرق .. وذاك مـــالك لمســـكن أو أراضي زراعية مستغل وشرير وعدو لمكاسب الشعب الإشتراكية .

واســـتمرت معالم الإنهيار الإقتصادي تعم مصر الخضراء التي كـــانت مليـــئه بالخيـــر الوفير ، وتصاعدت أسلحة المؤامرات الإقتصـــادية ســـواء من الداخل أو من خارج مصر . فقد كانت فرصـــة شـــهية مواتيـــة لكل دول الإستعمار والرجعية العالمية والعـــربية لمـــزيد من الضغط علي مصر ، فبدأ الشعب يسمع شعارات وتعيرات جديدة عليه ، دعوة عامة لربط الأحزمة علي البطون وفرضت الرقابة الصارمة علي بطاقات التموين ، والتي أصبحت هي الطريق الوحيد للحصول علي الكيلو من السكر أو

بعــض بواكي الشاي ، أو زجاجات الزيت وأساسيات الطعام أما الخبز فكان الحصول عليه يستلزم الوقوف في طوابير طويلة تســتهلك ساعات العمل للمواطن المصري ، أما الحصول علي فرخة أو كيلو لحم فكان يستلزم أيضاً الوقوف في طوابير أطول أمــام المجمعــات الإســتهلاكية ، وأقســام الشرطة تحمي هذه الطوابيــر وتــنظمها وتعالج بقسوة المشاجرات والقتال الدموي أحياناً في هذه الطوابير ، أما بنزين السيارات والوقود ، فالزيادة المســتمرة علي أصحاب السيارات بين حملة دعائية ضخمة أن راكــبي السيارات يجب أن يساهموا في هذه الأزمة الإقتصادية فهــم قــوم مرفهون يملكون سيارات ، تسبب مزيداً من الحسرة والأحقــاد لكل من يسير مترجلاً في الشارع ، وفي نفس الوقت غيــر قــادر علي التنقل في المواصلات العامة التي تدهورت أحوالهــا ـ وقلت أعدادها وتحولت إلي تسمية جديدة بأنها علب من السردين .

أمــا الرغبة في شراء ثلاجة أو راديو أو تليفزيون فهي رغبات تطــلعية .. ، تدفــع عنها الضرائب الباهظة تأديباً لك ، أما إذا كانت في صحبة راكب قادم من خارج مصر في حج أو عمرة ،

فهو يدفع عنها رسوماً جمركية باهظة .. وكانت تسمي في البند الجمركي الرسمي " السلع الإستفزازية " أي أنك بحصولك علي مـــثل هـــذه الأجهزة فإنك تكون مستفزاً للشعب الكادح المناضل الفقير محدود الدخل .

وكم فوجئنا في أجهزة الإعلام بالمناشيتات الضخمة ، تعلن عن المؤامـــرة الإستعمارية العالمية ، فمخزون القمح في مصر لن يكفيهـــا إلا أســـبوعين فقط وسيجوع الشعب المصري ولن يجد رغيفـــاً مـــن الخـــبز ، وتلتهب المشاعر تهتف ضد الإستعمار ومؤيدية والمتآمرين معه .

***

كيلــو اللحــمة بجنية

إزداد الـــتدهور الإقتصـــادي داخل مصر ، وإزداد عداء جميع الـــدول العربية المحيطة بمصر . وإزدادت المعارك علي أرض اليمـــن ، وأصبحت معظم قواتنا العسكرية موجودة خارج مصر وعـــلي بعد آلاف من الكيلو مترات ، وأصبحت حدودنا الشرقية مـــع إسرائيل العدو الخطير لمصر– أصبحت القوات العسكرية علي هذه الحدود غير كافية لحمايتها حتي جاء عام ١٩٦٧ ، ولا أدري هـــل تنـــبهت القيادة المصرية لأطماع إسرائيل العسكرية وتكثيفها العسكري علي حدود مصر الشرقية .

ولكـــن الذي أتذكره أن مصر بقيادتها السياسية والعسكرية كانت تعـــوض هـــذا الخلل العسكري – بمزيد من الشعارات العنترية الإعلامية بمزيد من الصوت العالي ، وكانت الدعوة العظيمة أن يقـــوم العـــرب بإلقاء إسرائيل في البحر ، وزادت الشتائم للدول الإســـتعمارية الـــتي تساعد إسرائيل الدولة التافهة الحقيرة ، بل

زادت أيضـــاً الشتائم القذرة للملوك والرؤساء العرب المحيطين بمصـــر ، بصورة هستيرية ، عصبية شديدة ، وأعترف هنا أن مشـــاعري كانت ومازالت توافق علي كل ما قيل أو يقال حتي الآن ضـــد دولة إسرائيل الجسم الغريب في المنطقة ، وضد كل دول الإســـتعمار بأساليبة القديمة والمستحدثة ، وكانت الضربة القاضية التي قامت بها القوات الإسرائيلية ضد الجيش المصري وقواتـــه الجوية في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧، وعلي مدي ســـتة أيام إنهارت مصر عسكرياً في ما يسمي بالنكسة ـ والتي كـــانت نـــتيجة طبيعية للأوضاع القيادية السياسية الإعلامية ـ وظلمـــنا نحن العسكريون ، وحملونا أسبابها ولكن أثبت التاريخ فـــي إنتصـــار أكتوبر سنة ١٩٧٣ ـ أن جنود مصر خير جنود الأرض ـ وأن الجـــندي الإسرائيلي ضعيف وهن ـ وأن القدرة القتالية المصرية ببسالة الإنسان المصري تفوق وتفوق عشرات المرات القدرة الهلامية للجندي الإسرائيلي .

وبعد هذه النكسة الخطيرة التي سأتحدث عنها في كتاب قادم من الـــناحية الدراميـــة والكوميدية ، فإسرائيل الصرصار التافه .. المـــتربص لمصـــر قديمـــاً وحاضراً ومستقبلاً ، تتباهى بأنها

أقتنصت إنتصاراً عسكرياً غادراً ومفاجئاً ضد أعرق دول العالم مصــرصـــاحبة حضارة سبعة آلاف عام ، ولما كانت كرامتنا المصرية قد تأثرت كثيراً فإن كلمات الرئيس عبد الناصر كانت بلسماً شافياً لنفوسنا المشروخة ، فكان ينادي أننا خسرنا معركة ولكنـــنا لـــم نخسر الحرب ، وكان ينادي أيضاً بالشعار الواقعي التاريخي ، إن ما فقد بالقوة لا يسترد بغير القوة .

والتأمت جراح نفوسنا كمصريين وعسكريين عندما حققنا النصر التاريخي . الذي نستحقه في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ . فرفعنا الرؤوس شامخة واستعدنا كرامتنا وكان ذلك في عصر الرئيس التالي لمصر الراحل أنور السادات .

المهــم أنه بعد نكسة ١٩٦٧. إزداد الإقتصاد المصري إنهياراً ، وإزداد ربط الأحزمة علي البطون وعلا صوت عصافير المعدة، وأذكر هنا مظاهرات لطلبة جامعة القاهرة . وفي الميدان الكبير أمامها سنة ١٩٦٨ .. وكان هدير هتافاتهم ، بعبارة لا تنســي " عبد الناصر ليه ليه .. كيلو اللحمة بقي بجنيه " ؟

***

محتويات الكتاب

الفصل الأول : أحوال مصر قبل حرب اليمن ١٩٦٢

الفصل الثانى : مصر و اليمن

***

كتب تحت الطبع للمؤلف

سلسلة حكايات لذيذة

نكســـة ١٩٦٧ : دراما كوميدية

مسرحية من ٤ فصول

شركة توظيف أموال قبطية إسلامية

قصة ليست خيالية

***



عبد الناصر ٦٢

الكتاب والمؤلف

مؤلف هذا الكتاب مهندس إستشارى ، ومفكر وكاتب له المقولات والمقالات الكثيرة والهادفة في جميع الصحف القومية ... وقد قضي شبابه ضابطاً مهندساً في القوات الجوية واشترك في حرب اليمن . وفي هذا الكتاب يحكي باسلوب قصصي خفيف وشيق ، أحداثاً عاشها بنفسه ، وبدون تعليق عميق ، أو تحليل للحوادث ، يتركه لذكاء القارىء العربي .. حتي يكون الفهم الصحيح لأحداث التاريخ . مناراً للحاضر والمستقبل .

ولأول مرة يفتح المؤلف ملفات كانت معلقه عن فترة هامة في تاريخ مصر الحديث ، وهو يقول عن هذه الفترة : " لا ندرى ما هي الأسباب لهذا التعتيم الإعلامي عن كل ما يخص الحرب المصرية في اليمن ؟ وهل كان التعتيم لأسباب سياسية أو أمنية قومية ؟ .. أم هي معنوية خجولة تعتبر هذه الحرب عورة في تاريخ مصر

وفى رأيه أنه مهما كانت الأسباب فقافلة التاريخ المصري . تسير للأمام .. والتقدم والرفعة .. وإلي الصدارة بين شعوب العالم أجمع

إنها مصر .. إنها مصر .. أم الدنيا .. وأسطورة التاريخ القديم والحديث .. والمستقبل بإذن الله .

